

الكتاب: آل الجرباء في التاريخ والأدب  
المؤلف: محمد بن عمر بن عبد الرحمن العقيل المعروف بأبي عبد الرحمن ابن  
عقيل الظاهري  
[الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العلمين، وصلى الله على محمد.  
فيما بين عام 1373 - 1378هـ كنت أسمع أخبار عبد الكريم الجرباء " أبو خوذ " وصفوق  
الجرباء، على لسان محمد بن يحيى - رحمه الله - وبعض من يفدون إلى شقراء في رمضان ممن يتلقفهم  
الوالد - رحمه الله - . وبقي من أذكاهم العاطرة ظلّ في ذاكرتي كأعقاب الحكيم ومنذ سنة عندما  
بدأت تأليف كتابي " ديوان الشعر العامي " تلقفت عن آل الجرباء كغيرهم من الأسر أشتاتاً من هنا  
وهناك لتكون ذخيري في تفسير هذا الشعر فحسب، ولم أدر أن هذه الشذرات ستكون بحثاً منهجياً  
عن أسرة آل الجرباء، وقد نشرته إفاذات متفرقة في الجزء الثاني من " ديوان الشعر العامي " ثم زودني  
شيخني حمد الجاسر بإفاذات جديدة من كتاب " مطالع السعود " لابن سند، وإفاذة واحدة من مجلة  
" لغة العرب " التي يصدرها أنستاس الكرملي ثم ناولني ما ينقصني من كتاب " عشائر العراق " وهو  
الجزء الأول الذي توسع في الحديث عن آل الجرباء مع تصحيحاته لمسودات هذا البحث إلى  
معلومات أخرى تجمعت عندي فأثرت أفراد آل الجرباء ببحث مستقل. ولا ريب أن المؤمضات عنهم  
في كتب التاريخ والأنساب لا تعطي صورة كاملة، فاستعنت - بعد الله - بالرواية الشفهية والشعر  
العامي في تنميم هذه الصورة. وفاتني من المصادر كتاب " عشائر الشام " لوصفي ذكريا. وأسرة آل  
الجرباء من الأسر التي تفتخر بلادنا بأجادهما عندما رحلت إلى العراق وسوريا، فكانت بناءً وطنياً في  
هذين القطرين، وكونت أدباً نجدياً هناك، ونشرت عادات وتقاليد البلد الذي رحلت منه، إلا إن مما  
لا يُحمد للشمامرة هناك الإخلال بالأمن، وإعادة سنة السلب والنهب والثارات الجاهلية. روى عبد  
الجبار الراوي أن فرحان باشا بن صُفوق الجرباء قال لأهل قرية المشاهدة بالعراق وقد أعجبته  
ضخامة أجسامهم: لَمَازَا لا تغزون؟ فقالوا: لا نحسن الغزو ولا نستطيعه. فقال: اغزوا من هو أقطع  
منكم!! ومن معاناتي لهذا البحث بدا لي أن ما كان مغموراً من تاريخنا يمكن أن يشبع بملاحظات  
عناصر أرجو أن يعنى بها شيخنا حمد الجاسر، ومن نهج لهم المسلك ممن سيأتون بعده. وهذه العناصر  
تتلخص في التالي: 1 - الاعتناء بتاريخ وأنساب وآداب الأقطار الأخرى، حيث ارتحال الأسر  
والبوادي. وتعاقب الأحداث الأخرى يربط نجداً بغيرها، وربما وجدنا في تواريخ الحجاز عن نجد ما لا  
نجد في كتب تاريخ نجد.

الرَّوْلُ رَوْلَةٌ وَالْحَلَايَا حَلَايَاهُ ... وَالْفِعْلُ مَا هُوَ فِعْلٌ صَافِي الْحَصَائِلِ

\*\*\*

جانا من " العارض " رَكِيبٌ بِهَيْفٍ ... يَتَلَوْنَ ابن عَرُوجٍ مَقْدِمِ بَنِي لَامٍ  
وأكثر ما نجده عند أهل نجد قولهم: ابن عَرُوجٍ آخر ملوك بني لام. وتظل القصة عندنا كالأسطورة  
فترمي بنا المصادفات إلى كتب أهل العراق فنجد في كتاب " أنساب العشائر العربية في النجف

الأشرف " لناجي وداعة الشريس توثيقات تاريخية تؤكد الرواية الأدبية النجدية. فقد ذكر الشريس أسرة في النجف تعرف بآل شُكرٍ، من آل حديد الأحسائي، وهو شكر بن محمد بن شكر بن حمود ابن علي الأحسائي من أحفاد يوسف بن حديد بن عرُوج من آل غزّي من الفُصُول من بني لأم. وكتاب الشريس ليس من نوع التخرصات التي توجد عند مؤرخينا ونسائينا، فقد اعتمد على أوراق أوقاف وموارث كوقفية لآل ثابت، مؤرخة في 980هـ ووقفية للحاج ناصر ابن علي الأحسائي، مؤرخة في 1174هـ ووقفية لشكر بن حمود آل حديد، مؤرخة في 1225هـ. ونقل عن كتاب " أنساب العرب " لسمر عبد الرزاق القطب أن حديد بن عروج آخر من بقي في نجد من عشيرة آل غزّي من الفضول، وذكر عنه أن رئاسة حديد بعد عجل ابن حنيتهم، وقد تولى بعده محمد بن حديد. وقد أفدت من هذا الكتاب في ربط سلسلة النسب بين آل فارس وآل رشيد وآل علي. وسيستفاد منه في ربط السلسلة لبعض الأسر المتحضرة من البوادي. فَصَمَّ مِثْلَ هَذِهِ الْإِفَادَاتِ يُبَلَّوْرُ وَيَمَحِّصُ بعضَ معلُومَاتِ النسايين والمُؤرخين في نجد.

(1/1)

2 – الاكتفاء بما نشر من كتب الأنساب والرحلات ومعاجم البلدان إلى حدود القرن الرابع واستحياء ما بعد ذلك مما يضيف معلُومَات ولا يكررها. وقد أحسن الشيخ حمد صنعاً في نشره لقسم من " مسالك الأبصار " رغم أنه أفاد منه النسايون الذين جاؤا بعد ابن فضل الله. ولقد أفاد الشيخ حمد من كتاب ابن رسول إفادت هو المصدر الوحيد فيها. وحذا لَو استمرت العناية بكتب الأنساب لَمَا بعد القرن الرابع والاحتفاء بكل ما تأخر عصره مما هو قبل كتابات المعاصرين. وأتوقع أن كتاب مجمع الأنساب لابن قدامة المتوفي سنة 620هـ ربما أفاد جديداً وهكذا كل ما تأخر عصره.

3 – العناية بالشعر العامي، بلهجة أهل نجد منذ نشأته إلى استقرار الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، لتفسير التاريخ وتعميقه وقد لُمست هذه الفائدة في الأسفار الستة التي أنهيتها من كتاب " الشعر العامي " .

4 – الاتصال مباشرة بالأسر النجدية والأعيان من أفخاذ البوادي للإفادة من وثائق أوقافهم وموارثهم.

5 – الاضطلاع بدليل " ببلُجرافي " عن تاريخ الجزيرة وأنسائها وأعلامها من كتب التاريخ والتراجم والرحلات والأنساب لاسيما كتب التراجم في القرن الثامن إلى آخر الثالث عشر.

(1/2)

ولقد سمعت من شَيْخِي إبراهيم العثمان أحد سلاطين المماليك – ولعله أحال إلى أحال إلى أحد كتب المقرئزي – طلب مقابلة بعض أعيان نجد وأحالي إلى رحلة ابن المُجاور عن نص من الشعر

العامي فوجدته كما قال. ووجدت في تاريخ العصامي لمحمد بن جدوع في مدح بركات بن إبراهيم الشريف من نوع الشعر العامي القديم الذي دونه ابن يحيى ونشره ابن حاتم. ووجدت في أنساب أهل عمان ما وصلت به تاريخ بعض الأسر الحاكمة في البحرين وذلك في السفر الأول من كتابي عن الشعر العامي. وعلمت علم اليقين من قصيدة للكليف " الجليف " أن مقرن ابن غصيب استرد ملك الأحساء من آل مغامس وأن الأتراك استولوا على الأحساء والحكام من آل أجود كما قال ابن بشر وغيره، وإنما أخطأ ابن بشر في التاريخ فحسب. وعلى أي حال فالمشروع الجغرافي لهذه النتف يعين طلبة العلم على تجلية تاريخهم المغمور لا سيما بعد انفتاح العامة على خزانات المخطوطات، وتيسر التصوير. وقد كنا منذ عقد من الزمن نرى إحالة المؤرخ إلى مخطوط من كبرى المناقب. وآل الجرباء من أمراء الجبل ومن قبيلة عريقة في هذا الموطن فقد ذكر النسابون أن قبيلة طي خرجت من اليمن على إثر خروج الأزدي منه، ونزلوا سيمياء وفيداً في جوار بني أسد ثم غلبوا بني أسد على أجا وسلّمى فعرفا فيما بعد بجبلي طيء. وذكر ابن سعيد أنهم أصحاب الرئاسة في العرب في عصره بالعراق والشام. ورئاستهم في بني ربيعة بن حازم من أحفاد سلسلة بن غنم من أحفاد فطرة بن طيء، فقد ورثوا أرض غسان والشام ومن أشهر أسرهم آل عيسى بن مهنا بن فضل بن ربيعة أثنى عليهم ابن فضل الله العمري كثيراً. وكان شيخنا حمد الجاسر ألف عن آل فضل كتاباً في صغره وحدثني مشافهة أن عقب آل فضل باقون حتى الآن بالأردن. وشمر بطن من طيء ولكنها في العصور المتأخرة أصبحت مجمع البطون الطائفة مع أخلاط أخرى دخلت فيها بالحلف. وقد نسب ابن دخيل آل علي وآل رشيد إلى آل فضل ولا سند له إلا أنهم حلوا محلهم في المكان والإمارة أما كتب الأنساب فدلّت على أنهم من مذحج. فإن صح أن عبدة بن شمر - كما نقل عن الكتاب المنسوب لابن قدامة - فلا ريب أن زعمائهم آل ضيغم من جنب من مذحج وقد دخلوا في عبدة. وآل ضيغم إلى آخر القرن السابع الهجري لا يزالون في الجنوب في بلاد مذحج. ويظهر - استثناساً بالأسماء - أن آل علي وآل رشيد من ذرية شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي الذي ذكره ابن رسول. ولعل بين جدّهم الأدي عرار بن شهوان وشهوان بن منصور جدّاً اسمه فارس بن طعان استثناساً بنص عن آل فارس كما سيأتي بيانه. وإنما نسبتهم إلى فارس بن طعان لأن آل خليل هم أبناء خليل بن جاسر بن علي بن عطية من آل جعفر، وقد ذكر الشريس أن آل فارس وآل خليل بطن واحدة وابن فارس محمد كان حياً عام 1109. ثم ذكر أن آل صادق من ذرية عبد الله بن محمد بن علي من آل فارس. فإذا كان آل صادق أبناء عم آل علي وكانوا من آل فارس بن طعان قال علي من ذرية فارس. وكلهم من آل جعفر وقد ذكر ابن بسام أن آل جعفر من الضياغم. ولهذا كله رجحت أن لآل علي وآل رشيد جدّاً اسمه فارس ابن طعان إما من أحفاد عرار بن شهوان وإما بين عرار بن شهوان وشهوان بن منصور بن ضيغم. وعلى أي حال فإقحام فارس بن طعان في نسب آل رشيد استنتاج يظل مجرد احتمال. وفي نص ابن رسول أن لمّنيف بن ضيغم بن منيف بن جابر ولدّاً اسمه راشد وله حفيد اسمه عمير بن أحمد بن راشد. وفي الكتاب المجهول المؤلف الذي نقل عنه الشيخ حمد الجاسر أخبار الدّهم الشهوانيات في مخطوطته عن الخليل أن شهوان أبا عرار أو راشد عم عمير. فيحتمل أن يكون عرار حفيداً لمّنيف بن ضيغم. ويحتمل أن يكون من ذرية شهوان بن منصور بن ضيغم. وعلى أي حال فتوارث اسم شهوان وعمير وراشد يؤكد أن عرار بن شهوان وعمير بن راشد من أحفاد منيف بن ضيغم. وآل الجرباء هم زعماء شمر ورؤساء الجبل وأبعد ذكر لهم وجدته عن وفاة اثنين منهم عام 1100هـ وعام 1103هـ وقد رحلوا من نجد عام 1205هـ بعد هزيمتهم أمام ابن

سعود فبنوا زعامتهم في العراق وسوريا. وعَبْدَةُ أكبر قبائل شمر من قبيلة جنب من مذحج فهم أبناء عم عبيدة من قحطان. ومن عَبْدَةُ الجربان وآل علي وآل رشيد. قال شاعر من

(1/3)

عبيدة من قحطان: دة من قحطان:

ان سَلْتُ عَنَّا يَا لِسُوَيْطِي قَحَاطِينَ ... عَوَاصِمِ، وَاللِّي خَدَانَا لَفَاقِي  
حَنًّا وَعَبْدَةَ وَالصَّبَاغِمِ بَجْدَيْنِ ... لَطَامَةَ يَوْمَ الْفَقَا كَلِّ مَايِقِ

وأمرء الجبل بعد الجربان آل علي، وفي التاريخ لهم اضطراب كثير، وقد طمر الدارسون العهد الأول من إمارة عيسى بن علي، مما ترتب عليه الخلط بين أحداث عبد الله ابن رشيد في عهد عيسى الأول وعهد صالح بن عبد المحسن وعهد عيسى بن علي للمرة الثانية. وقد حققت ترتيب ولايتهم على هذا النحو: 1 - عبد المحسن بن فايز بن محمد بن عيسى بن علي بن علي بن عطية. وهو أمير الجبل في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد وقد دخل في طاعته عام 1201هـ.

2 - محمد بن عبد المحسن تولى عام 1201هـ.

3 - عيسى بن علي تولى عام 1234هـ.

4 - صالح بن عبد المحسن تولى عام 1249هـ.

5 - ابن رشيد تولى عام 1250هـ.

6 - عيسى بن علي تولى مرة ثانية عام 1253هـ.

ثم طرده عبد الله بن رشيد في نفس العام، وبذلك انتهت إمارة آل علي. وهذا الترتيب جاء بعد تحقيق وتدقيق ومناقشات. وبعد آل علي جاء آل رشيد، وقد كتب الدكتور عبد الله الصالح العثيمين ضميمه غاية في التحقيق، والتدقيق بعنوان " نشأة إمارة آل رشيد " نشرتها: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض " عام 1981م وطبعها " مطابع الشرق الأوسط بالرياض " وقد تطرق في هذه الضميمة لأمرء الجبل قبل عبد الله بن رشيد. وضميمة الدكتور العثيمين دراسة رائدة في تناول تاريخنا المحلي، من ناحية الاستنباط والإفادة من الشعر العامي وما كتبه الأجنون. وكانت عناية الدكتور العثيمين بالتاريخ قصداً، وبالشعر العامي تبعاً، ولقد تناولت تاريخ عبد الله بن الرشيد في السفر الثاني من كتابي " تاريخ نجد في عصور العامية " بعكس هذا المنهج وهو أنني قصدت الشعر العامي واتكأت على التاريخ تنميماً للدراسة من الشعر. ولما قارنت ما كتبه الدكتور العثيمين رأيت في مصادره سعة لي، وفي تخرجاته واستنباطاته معالمً اهتديت بها. ورأيت في ضميمه الدكتور العثيمين شيئاً يجب استدراكه دون أن يُخل بأصالة بحثه ودقته. ورأيت في بحثي شيئاً يجب أن يضم إلى بحث الدكتور ليكون مكتملاً بحسب الأداة التي يملكها الباحث في هذا العصر. ومن المستحسن أن آتي ببذرة عن آل علي الذين خلفوا آل الجربان في الزعامة فقد أسلفت في الحديث عن آل الجربان أهم من عَبْدَةَ من شمر، وأن عَبْدَةَ من آل ضيغم. وآل رشيد أبناء عم آل علي الأقربين، وقد سلسل الدكتور ابن عثيمين نسب الأمير محمد بن عبد المحسن هكذا: محمد بن عبد المحسن بن فايز بن محمد بن عيسى بن علي ابن علي الكبير الذي يلتقي فيه نسب هذه الاسرة مع نسب آل رشيد. ولم

يذكر الدكتور مصدره. وقال سليمان الدخيل عن عبد الله الرشيد: عبد الله علي بن رشيد بن خليل بن عطية. وخليل أخو علي جد آل علي. ونقل الدكتور العثيمين عن ورقة عند نايف آل علي بحائل: عبد الله بن علي بن حمد بن رشيد بن خضير بن خليل ابن ياسر بن علي بن عطية. قال العثيمين: وما ذكره ضاري يتفق مع ورقة نايف، إلا أن حمداً أبّ لرشيد، لا ابناً له. وقال ابن بشر عن جبر عم عبد الله بن رشيد: جبر بن رشيد بن علي. قال أبو عبد الرحمن: يظهر لي أن عليا الكبير هو جد آل صادق بالنجف فجدهم الحاج أحمد كان حياً سنة 1185هـ وهو ابن عبد الله بن محمد بن علي من شمر عبدة. ويظهر أن عليا الكبير بن عطية ينتهي نسبه إلى فارس ابن طعان جد آل فرس بالنجف. قال الشريس عن آل فارس: أحد فروع آل جعفر من قبيلة شمر عبدة الطائفة القحطانية وقد ذكرهم الغزوي في كتابه " عشائر العراق " البدوية وهم آل خليل بطن واحدة قال أبو عبد الرحمن: وسياق النسب من هذه النصوص لهذه الأسر يتسق على هذا المشجر.

فارس بن طعان من ذريته علي الكبير بن عطية محمد جد آل صادق علي عيسى جد آل علي جاسر جد آل رشيد

(1/4)

وعلى هذا الأساس يصح القول بأن آل رشيد من آل علي كما قال الدخيل، وأنهم أبناء عم آل علي كما يقول الجمهور. هذا أكثر ما رأيت في سلسلة النسب. أما عموم كتب الأنساب فتذكر آل رشيد من آل خليل من الجعافرة من الدغيرات من آل يحيى من عبدة من شمر. وقال يوسف البسام: وآل جعفر من الضياغم من شمر عبدة. ورأيت عبد الله الخالد الحاتم يذكر أن عرار بن شهوان آل ضيغم، جد الرشيد، أمراء جبل حائل، انه عاش سنة 850 هـ. وإلى ذلك مال شيخنا حمد الجاسر في كتابه " جمهرة أنساب الأسر المتحضرة " فنسبهم إلى آل ضيغم، ونقل عن كتاب " طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب " عمر بن يوسف ابن رسول " ... - 694 هـ " أن آل ضيغم كانوا إلى آخر القرن السابع الهجري لا يزالون في الجنوب في بلاد مذحج " بلاد قحطان الآن بمنطقة إمارة عسير " وسماهم آل منيف ونسبهم إلى جنب. وجدهم منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي ابن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح ابن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك. ويقال إنهم من نزار - من عنز بن وائل بن قاسط، دخلوا في نسب جنب، لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي تزوجها روح بن مدرك. ولهم أشعار في رحلتهم ذكر قطعاً منها الشيخان العبودي والجنيدل في معجميهما والشيخ حمد الجاسر في كتابه الخطي " معجم الخيل ". وقد أتمحت إلى شيء من ذلك في السفر الأول من كتابي عن الشعر العامي. ونسبة آل رشيد إلى آل ضيغم واردة في الشعر العامي. قال عبد الله بن رشيد ييكت جماعته:

من باب خدام إلى باب شداد ... واللي اعتزى بالضيعميه تطلبه

وقال مخلد بن هديرس يمدح عبد الله بن رشيد:

الضيغمي من حائل عطاً الأنجاد ... دز السبور وقام يجمع نواحيه

وقال علي القبالي التميمي:

الضيغمي كل المَراجل بَعْبَه ... وَحِنَّا نَلْقَطُ مَا وَقَعَ بِالتَّرَابِ  
وقال ابن هديرس:  
أبو طلال الضيغمي فرز الأولاد ... زَبْرُومٌ غَلْبًا بِاللِقَا، يَنْطَحُ التِيه  
وقال منيع القعود يمدح عبد العزيز بن متعب الرشيد:  
تَهْرًا بِالصِّيَاغِمِ، يَا سَمَى الكلب سدحان ... تَهْرًا بِالصِّيَاغِمِ، وَالصِّيَاغِمِ لِلْعُدُوعِلَّةِ  
وقال سليمان بن جمهور.  
مَا صَارَ مِثْلَ الضيغمي لِاتْوَارِي ... أَقْفَى عَلَي عَيْنِ الْمَادِي بِالْأَدْبَارِ  
وقال عبيد بن علي بن رشيد:  
صِيَاغِمُ تَرخُصُ جَلَالَهُ وَالْأَرْقَابِ ... وَدُونَ الرَفِيقِ بِمَا لَهُمْ مَا يَشْحَوْنَ  
وقال يمدح أخاه عبد الله:  
يَتَلَوْنَ شَعْمُومَ خَوَالِهِ عَمَامَهُ ... مِنْ صَيِّغِمٍ مَا دَكَّ بِهِ عِرْقَ الْإِجْنَابِ  
وقال يمدح ابن أخيه طلالا:  
صِيَاغِمٌ يَرْدُونَ حَوْضَ الرَّحَامِ ... يَرْدُونَ لِأَمْنِهِ غَشَى النَّاسَ الْإِبْدَالَ

(1/5)

إلا أن العزاوي نقل عن كتاب " مجمع الأنساب " الذي نسبه لابن قدامة بأن عبدة من شمر. قال أبو عبد الرحمن: وعلى هذا يكون القحطانيون - من غير طيء - هم آل ضيغم دخلوا في عبدة بالحلف. والمعلومات عن آل علي غير مكتملة، وما وجد عنهم من معلومات فيه اضطراب كثير. فالدكتور ابن عثيمين: يرى أن إمارة حائل خلال القرن الثاني عشر الهجري لآل علي المنتمين لآل جعفر. وعد من أمراء هذا القرن محمداً الأول وهو محمد بن عيسى ابن علي أخو خنساء، أو السمن العراقي أما الشيخ علي بن سالم فيذكر أن أول أمراء آل علي عبد المحسن بن علي. ثم قال في موضع آخر: وليس عندي بيان وقت ولايتهم وكيف انقروا لكنهم من عام 1232. قال أبو عبد الرحمن: عبد المحسن كان أمير حائل في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد وقد دخل في طاعة الإمام عام 1201هـ وبهذا تكون بدايتهم قبل عام 1201 ويسقط قول ابن سالم: أنهم من عام 1232هـ. أما الدكتور العثيمين فقد أسقط عهد عبد المحسن هذا، وقال: إن الأمير في نهاية القرن الثاني عشر هو محمد بن عبد المحسن. قال أبو عبد الرحمن: إنما تولى محمد بعد ابنه عبد المحسن في مطلع القرن الثالث عشر. ونقل العثيمين عن كتاب " كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب " لمؤلف مجهول: أن حجيلان عام 1201 قتل رجلاً ساحراً ونصب محمد بن علي شيخاً في المنطقة. وعلق على ذلك بقوله: ولعل حجيلان أقر محمد بن علي في زعامة الجبل. قال أبو عبد الرحمن: أسلفت نص ابن سالم على أن عبد المحسن كان أمير حائل قبل ابنه، وذكر يوسف البسام: أن حجيلان عين محمداً بعد وفاة والده عبد المحسن. فهذان النصان بالإضافة إلى نص صاحب كتاب " كيف كان ظهور شيخ الإسلام " يؤيد سبق إمارة عبد المحسن وليس عند الدكتور العثيمين زيادة علم تنفي ذلك. ويظهر أن شمر دانت لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حياته، وحياة الإمام

محمد بن سعود قبيل سنة 1178هـ لأن صاحب كتاب "لمع الشهاب" ذكر في أحداث هذه السنة أن محمد بن سعود هياً عسكرياً مقداره ستة آلاف، بقيادة ابنه عبد العزيز بأمر من محمد بن عبد الوهاب، وأرسله إلى طائفة من شمر، كانت قد دخلت في الطاعة قبل ذلك ولما سمعوا بمجيء النجرائي وعرعر ارتدوا عن حكم ابن سعود، وجعلوا يغزون أطرافه، فسار عبد العزيز بالجيش إلى جبل شمر وغزاهم ليلاً فأهلك منهم جمعاً كثيراً وقد أسر منهم مئتي رجل بل أزيد. أما آل علي أنفسهم وحاضرة الجبل فقد دانوا لحكم آل سعود منذ عام 1201هـ. ولذلك مقدمتان: أولاهما: أن قبيلة شمر سنة 1196 ناصرت سعودون ابن عريعر في حصاره لحجيلان أمير بريدة من قبل آل سعود. وأخرهما: أن شمر في المحرم عام 1201هـ ناصرت ثويني بن عبد الله، في هجومه على نجد، ومحاصرته للقصيم ولحجيلان في بريدة. فلعله نتيجة للمقدمة الأولى: كانت غزوة حجيلان عام 1200هـ حيث أخذ قافلة لشمر وقتل منهم قتلى كثيرة. ونتيجة للمقدمة الثانية بيقين: غزا حجيلان بأمر من الإمام عبد العزيز بلد شمر وأدخلهم في الطاعة فبايعوا ابن سعود. ومحمد هذا من أشهر أمراء آل علي. من الأحداث التاريخية في عصره أنه غزا قبيلة الشرارات في الجوف سنة 1207هـ ومعه أربع مئة من الإبل وخمسون من الخيل لكن نتيجة غزوته كانت فاشلة. وفي سنة 1208هـ هاجم الجوف وأدخله في طاعة آل سعود، فضم إليه الإمام سعود بن عبد العزيز ولاية الجوف. وفي سنة 1211هـ اشترك أهل الجبل مع القوات السعودية في صد حملة ثويني. وذكر أن محمداً غزا ناحية العراق واشتبك مع آل بعيج وقتل منهم خمسين رجلاً. وفي سنة 1221هـ كان محمد من بين الزعماء المرابطين حول المدينة المنورة، بأمر من الإمام سعود، لإجبار أمير حجاج الشام على العودة إلى بلاده. وفي سنة 1225هـ كان أهل الجبل مع الإمام سعود في غزوه للبلاد الشامية. وفي سنة 1228هـ كلف الإمام سعود محمداً بمراقبة فرقة من الجيش المصري العثماني ليجبرها على الذهاب إلى العراق. وفي سنة 1229هـ اشترك محمد مع القوات السعودية في هجومها التآديبي الفاشل على عياد الذويبي الحربي قرب الحناكية. وفي سنة 1230هـ كان أهل الجبل مع الإمام عبد الله بن سعود في القصيم، حين وصل إليها طوسون كما كانوا معه لتأديب بعض

(1/6)

البوادي والأهالي بعد انسحاب طوسون. وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر أن حكام حائل آل علي وآل رشيد يسكنون السويقلة، قبل انتقاهم إلى حائل، وقد أوردت نصه في شعر عبد الله بن رشيد خلال الكلام عن قصيدته على قافيتي التاء والراء بوصل الهاء بالسفر الثاني من كتابي "ديوان الشعر العامي". وفي نص آخر ذكر الجاسر أن عاصمة الأمارة السافلة "السويقلة" عمرت في القرن الثامن وما لبثت أن خربت فعمرت حائل على إثرها. وقال في موضع ثالث عن السمرات: "يقال إنها حائل القديمة وأنها كانت مقر آل علي". وقال ابن عثيمين: "وكانت مساكن آل علي في أسفل قاعدة الجبل أو ما يعرف بالسويقلة". ثم بنى زعماءؤها لهم قصراً في مكان يقال له الوشيق علي بعد ثلاثة أكيال من مساكنهم الأولى. وبعد ذلك أسس الأمير محمد بن عبد المحسن قصر بَرزَانَ الشهير، الذي أصبح فيما بعد قصر حكم آل رشيد. يقال إن القصر سُمِّيَ برزانا لبروزه عن مساكنهم الأول

ففي النص السابق ذكر العثيمين أن محمد بن عبد المّحسّن هو الذي أسس قصر برزان، وقال في موضع آخر: وضع أساس برزان الشهير. وقال الزركلي عن محمد بن عبد الله بن رشيد: أكمل قصر برزان في حائل، وكان عيسى بن علي قد شرع في بنائه ولا أستطيع التوفيق بين هذين النصين إلا بأن يكون محمد بن عبد المّحسّن أسسه وعيسى أكمله، ومحمد العبد الله رّمه ووسعه. ولم يتطرق شيخنا حمد الجاسر إلى علاقة برزان بآل علي وإنما قال: قصر كان في مدينة حائل في عهد الإمارة الرشيدية، ورسم موقعه في كتاب "القول السديد" لابن دخيل، وقد صورت بعض مبانيه في كتاب "مقدمة عن الآثار في الممّلكة" الذي أصدرته وزارة المّعارف عام 1396هـ. وذكر هوبر في رحلته: أن عبد الله بن علي بن رشيد اشترى قصر برزان من آل علي. قال أبو عبد الرحمن: إنّما شهرة قصر برزان في عهد آل رشيد. قال راكان بن حثلين: والأهالي بعد انسحاب طوسون. وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر أن حكام حائل آل علي وآل رشيد يسكنون السويّفة، قبل انتقالهم إلى حائل، وقد أوردت نصه في شعر عبد الله بن رشيد خلال الكلام عن قصيدته على قافيتي التاء والراء بوصل الهاء بالسفر الثاني من كتابي "ديوان الشعر العامي". وفي نص آخر ذكر الجاسر أن عاصمة الإمارة السافلة "السويّفة" عمرت في القرن الثامن وما لبثت أن خربت فعمرت حائل على إثرها. وقال في موضع ثالث عن السمراء: "يقال إنّها حائل القديمة وأنها كانت مقر آل علي". وقال ابن عثيمين: "وكانت مساكن آل علي في أسفل قاعدة الجبل أو ما يعرف بالسويّفة". ثم بنى زعماءؤها لهم قصراً في مكان يقال له الوّشّقي على بعد ثلاثة أكبال من مساكنهم الأولى. وبعد ذلك أسس الأمير محمد بن عبد المّحسّن قصر برزان الشهير، الذي أصبح فيما بعد قصر حكم آل رشيد. يقال إنّ القصر سُمّي برزاناً لبروزه عن مساكنهم الأولى ففي النص السابق ذكر العثيمين أن محمد بن عبد المّحسّن هو الذي أسس قصر برزان، وقال في موضع آخر: وضع أساس برزان الشهير. وقال الزركلي عن محمد بن عبد الله بن رشيد: أكمل قصر برزان في حائل، وكان عيسى بن علي قد شرع في بنائه ولا أستطيع التوفيق بين هذين النصين إلا بأن يكون محمد بن عبد المّحسّن أسسه وعيسى أكمله، ومحمد العبد الله رّمه ووسعه. ولم يتطرق شيخنا حمد الجاسر إلى علاقة برزان بآل علي وإنما قال: قصر كان في مدينة حائل في عهد الإمارة الرشيدية، ورسم موقعه في كتاب "القول السديد" لابن دخيل، وقد صورت بعض مبانيه في كتاب "مقدمة عن الآثار في الممّلكة" الذي أصدرته وزارة المّعارف عام 1396هـ. وذكر هوبر في رحلته: أن عبد الله بن علي بن رشيد اشترى قصر برزان من آل علي. قال أبو عبد الرحمن: إنّما شهرة قصر برزان في عهد آل رشيد. قال راكان بن حثلين: يافاطري ذيّ خرايم طميّة... تنحري برزان زين المّباني وقال حمود بن عبيد بن رشيد: فان كان ابن هندي نوانا ببرزان... فحنّا على عروا قصرنا مسير

(1/7)

ظل محمد أميراً للجبل ما يقرب من ثلاثة وثلاثين عاماً حيث تولى سنة 1201 تقريباً وقتل سنة 1234 وسبب ذلك أن إبراهيم باشا لما قضى على دولة آل سعود قام بحملة على أمراء المناطق



المتحمسين للدعوة وأنصارها آل سعود، ولهذا قتل محمداً وأخاه علياً عام 1234هـ. قال ابن عثيمين: اغتاله الحبشي زعيم رجال إبراهيم باشا حيلة في مقصورة الداحس، ثم حز رأسه وبعث به إلى تركيا ويشير إلى ذلك قول الشاعر:

يَا حَيْفَ رَأْسِ الشَّيْخِ تَلَعَبَ بِهِ الْبُومُ ... مِتْقَابِلَيْنِ بَيْنَهُمْ يَجْرُونَ

أما بقية جسده فدفنت في مقبرة الزبارة في حائل، وقد رأيت قبره وقد كتب علي أحد شاهديه: " محمد بن علي رحمه الله واسكاهو " وأسكنه " دار السلم " السلام ". وعبارة أمير المسلمین تفيد أنه كان مشهوراً بالديانة، كما تفيد أنه كان عظيماً وهذا مما يؤيد ما ذكر من حماسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما كان له من دور في الدولة المعتمدة على دعوته. وقد خلف الأمير محمد بن عبد المحسن أربع بنات إحداهن سلمى التي تزوجها عبد الله بن علي بن رشيد. وقال الشيخ علي بن سالم: " فأما محمد بن علي فقتله الترك أيام ظهورهم على نجد بقصر برزان بحائل حين حاصروه وأنزلوه بالرغم وقتلوه ". والآن قبره بمقبرة الزبارة في حائل جثة بلا رأس. هكذا سمعت من والدي رحمه الله يقول ذلك، ولا أدري أي سنة كان ذلك فالله أعلم. وقد ذكر الدكتور العثيمين: أن محمد بن عبد المحسن أشار على أهل قفار إبان غزو إبراهيم باشا بأن يبنوا قصرًا يكون جزء منه في مستوى أكثر انخفاضاً من سطح الأرض القريبة منه لئلا تؤثر فيه المدافع. وبعد قتل محمد بن عبد المحسن لا نعرف من تولى بعده مباشرة إلا أنه من المؤكد أن عيسى بن علي بن فايز تولى قبل صالح بن عبد المحسن. والبرهان على ذلك ما يلي: أ - دلالة قصيدة عبد الله بن رشيد الدالية التي رجحت أنها في فترة حكم عيسى الأولى، كما بينت ذلك في السفر الثاني من كتابي " ديوان الشعر العامي " .

ب - ذكر ابن بشر أنه في سنة 1243 أو 1242هـ وفد عيسى ابن علي بن فايز رئيس جبل شمر على الإمام تركي وبايع وجعل في بيت مال الجبل حمد الشويعر. وقد وصفه ابن بشر في عام 1253 بأنه رئيس الجبل القديم.

ج - أن الإمام تركي بن عبد الله لم يعين صالح بن عبد المحسن إلا في سنة 1249هـ. والدكتور العثيمين يستبعد ولاية عيسى بن علي بعد محمد ابن عبد المحسن مباشرة ويتعلل بالتالي: أ - قول ابن بشر عن عيسى " رئيس الجبل " لا يدل على رئاسة سابقة، لأن عادة ابن بشر أن يصف بالرئاسة من سبيلها ثم ذكر نماذج لذلك.

ب - أن ابن رشيد أخذ الإمارة من صالح بن عبد المحسن باتفاق المصادر.

ج - أن ابن بشر ذكر صالحاً من أمراء تركي عند كلامه عن اغتياله.

قال أبو عبد الرحمن: الجواب عن هذا بما يلي: 1 - أن ابن بشر يوهم أحياناً إذ يصف بالرئاسة من سبيلها ولم يلقها بعد. ولكنه هذه المرة رفع الوهم بقوله " رئيس الجبل القديم " فصح أن ابن بشر وصف عيسى بالرئاسة لأنه كان رئيساً في السابق.

2 - لا ريب أن ابن رشيد تولى الإمارة بعد صالح بن عبد المحسن باتفاق المصادر. ولكن

المصادر لم تتفق على أن صالحاً تولى بعد محمد بن عبد المحسن مباشرة، بل نص ابن بشر على أن تركياً عينه في 1249هـ.

3 - أن ابن بشر لما ذكر وفادته عام 1243هـ وصفه بالرئيس والمبايع. فهذا تعريف فعلي للرئيس حقيقة.

4 - إنما ذكر ابن بشر صالحاً أميراً عند ذكره لأمر تركي، لأنه هو الأمير حال وفاة تركي. وابن بشر

إنما يذكر أمراء الإمام حال وفاته، ولا يلتزم ذكر كل من تأمر في حياته. وبهذا يسقط احتمال الدكتور العثيمين أن عيسى مجرد صاحب نفوذ في عهد الأمير الصالح.  
قال أبو عبد الرحمن: وعيسى هذا يحتمل أن يكون: عيسى بن علي بن عبد المحسن بن فايز بن علي. فيكون أبوه علياً أخاً محمد بن عبد المحسن، الذي قتله إبراهيم باشا مع أخيه. ويكون قول ابن بشر: عيسى بن علي بن فايز، من باب الاختصار، وهو أمر مألوف. ويحتمل أن يكون لعبد المحسن بن فايز أخ اسمه علي، فيكون عيسى بن علي بن فايز بن علي. أما الدكتور العثيمين فأورد بشأنه التالي:

(1/8)

أ - قول موزل: خلف محمد بن عبد المحسن ابنه عيسى. إذن هو عيسى بن محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي وصاحبنا عيسى بن علي بن فايز. فهما اثنان بلا ريب، ومن البعيد أن يكون الاسم الثاني اختصاراً للأول، لأنه ليس غير مألوف في اختصار النسابين والمؤرخين. وقد نقل العثيمين عن بعض آل علي المقيمين في حائل أن محمداً لم ينجب ذكراً. فهذا دفع لقول موزل بلا ريب.

ب - قول ضاري الرشيد و " هوير " أن صاحبنا هو عيسى ابن عبيد الله. قال أبو عبد الرحمن: لم نجد علماً له أحداث تاريخية بهذا الاسم، ومن المحال أن يكون أمير الجبل عيسى بن عبيد الله فيسميه ابن بشر: عيسى بن علي بن فايز! وقد ذكر العثيمين أنه ذكر في ورقة عند السيد نايف آل علي في حائل أن عبد الله ابن عم لصالح بن عبد المحسن. قال أبو عبد الرحمن: لا ننكر ورود من اسمه عبيد الله أو عيسى في آل علي، وإنما ننكر أن يكون عيسى بن عبيد الله هو عيسى بن علي بن فايز الأمير. قال العثيمين: أما أسرة آل علي الموجودين في الوقت الحاضر فإنهم من نسل عيسى بن صالح بن عبد المحسن. وكان عيسى هذا طفلاً حين وقعت الأحداث على أبيه، فأخفته أمه حتى استقرت الأمور فيما بعد. قال أبو عبد الرحمن: إذن عيسى هذا عصر أهليته للولاية غير عصر عيسى بن علي بن فايز. وبعد عيسى تولى صالح بن عبد المحسن عينه الإمام تركي عام 1249هـ كما مر آنفاً ثم عزله الإمام فيصل سنة 1250هـ وعين عبد الله بن رشيد. وقد بينت في السفر الثاني من كتابي " ديوان الشعر العامي " قصة قتل صالح وأن عبيد بن علي بن رشيد هو الذي قتله. وفي عام 1253 استولى عيسى بن علي الأنف الذكر على حائل وطرد عبد الله بن رشيد، ثم طرده عبد الله في نفس العام وانتهت بذلك إمارة علي. ومحمد بن عبد المحسن الذي هو أبرز زعيم من آل علي أورد الدكتور العثيمين نسبه كالتالي: محمد بن عبد المحسن ابن فايز بن محمد بن علي بن علي الكبير. وورد عند ابن بشر: محمد بن عبد المحسن بن فايز ابن علي وتارة محمد بن عبد المحسن بن علي فسياق ابن بشر نحمله على الاختصار.

أما الدكتور العثيمين فربما اعتمد على وثائق عند آل علي بحائل. وكون محمد هو الأمير بعد والده ليس محل التباس ولكن قال ابن سالم: " أول ملوك آل علي عبد المحسن بن علي وبعده ولده صالح بن عبد المحسن وبعده محمد بن علي ". وعلق المنار على ذلك بقوله: وبعد محمد " أي ابن علي "

أخو صالح بن علي. فكلمه أخو بدون هاء أحدثت لبساً إلا أن الشيخ حمداً نقل هذا النص مرة ثانية فأزال اللبس عندما قال: فإن الذي تولى الإمارة بعد محمد بن علي أخوه صالح بن علي علي ما أفادني الأستاذ فهد المارك. وعلى كل حال فالموضوع يحتاج إلى تفصيل ليس هذا محله. قال أبو عبد الرحمن: محمد بن علي قبل أخيه صالح خلافاً لما زعمه ابن سالم. وبعد محمد بن علي: عيسى بن علي قبل صالح بن علي وهذا ما فات المارك. وزعم ابن سالم أن لعبد المحسن ذكراً في تاريخ ابن بشر. قال أبو عبد الرحمن: لم يذكره ابن بشر، إنما ذكر ابنه محمداً وصالحاً. ولما كانت إفادتي من الجزء الأول من "عشائر العراق" ومن مجلة "لغة العرب" بعد تحريري لمادة هذا البحث فقد آثرت إبقاء بحثي على حاله على أن أجعل نصي "عشائر العراق" و "لغة العرب" ملحقين محققين بآخر الكتاب. وفي ختام هذه التوطئة أقدم خالص شكري لأستاذ الجيل حمد الجاسر الذي قدم لي رفته وتوجيهه، وأرجو أن يتم نواقص هذا الكتاب بما في مخطوطته عن الخيل من أخبار وأشعار آل ضيغم والله المستعان.

وكتبه لكم أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

الرياض 941402 هـ

ثم أنهى تنقيحه في 3041402 هـ

آل الجرباء

2 - نسبهم، وقصة رحيلهم من الجنوب إلى بلاد المحبلين، ثم رحلتهم إلى العراق وسوريا.

نسب آل الجرباء

(1/9)

من المنتفق عليه بين النسابين أن آل الجرباء من عبدة من شمر. ومنهم قسم دخلوا في سنجارة من شمر، ولا يزالون الآن في سوريا بزعامة ميزر الجرباء شيخ الفداغة، ودهام الجرباء شيخ الخرصه. وشمر بطن من ثعل بن عمرو من طيء كما قال ابن الكلبي. وهي اليوم من كبريات القبائل العربية. ولما تكلم ابن لغبون عن شمر أبي القبيلة قال: وقد غلبت هذه النسبة شمر على أهل جبل طيء من البادية وبعض الحاضرة والظاهر أنهم كلهم ليسوا من نسله، ولا يبعد أن ينسب إليه غير من يجتمع معه في عمود نسبه من سائر طيء وكذلك من خالطهم أو نازلهم من جار أو حليف قد ينسب إليهم، مع تطاول الأزمان قال أبو عبد الرحمن: إذن عبدة من أكبر قبائل شمر الطائية حلفاء، وهي من قبيلة جنب المدحجية نسباً. فهم أبناء عم عبيدة من قحطان. قال شاعر من عبيدة من قحطان:

إِنْ سَلْتِ عَنَّا يَا لِسُوَيْطِي قَحَاطِينَ ... عَوَاصِمِ وَاللِّي حَدَانَا لِقَائِقِي  
حَتَّى وَعَبْدَةَ وَالضِّيَاغِمِ بَجْدِينَ ... لَطَامَةَ يَوْمِ اللَّقَا كَلِّ مَايَقِي

(1/10)

فأما عن عموم طيء فقد ذكر النسابون أن قبيلة طيء خرجت من اليمن على إثر خروج الأزدي منه، ونزلوا سميراء وفَيْد، في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على أجداء وسلّمى فعرفا فيما بعد بجبلى طيء. وذكر ابن سعيد أصحاب الرياسة في العرب في عصره بالعراق والشام. ورتاستهم في بني ربيعة بن حارم، من أحفاد فطرة بن طيء، فقد ورثوا أرض غسان والشام، ومن أشهر أسرهم آل عيسى بن مهنا بن فضل بن ربيعة، أثنى عليهم ابن فضل الله العمري كثيراً وكان شيخنا حمد الجاسر أَلَفَ عن آل فضل كتاباً في صغره، وحدثني مشافهةً أن عقب آل فضل باقون حتى الآن بالأردن. وشكّر بطن من طيء، ولكنها في العصور المتأخرة أصبحت مجمع البطون الطائية مع أخلاط أخرى دخلت فيها بالهلف وقد نسب ابن دُخَيْل آل علي وآل رشيد إلى آل فضل، ولاسند له إلا أنهم حلوا محلهم في النكاح والإمارة، أما كتب الأنساب فدلّت على أنهم من مذحج. فإن صح أن عبدة من شمر - كما نقل عن ابن قدامة - فلا ريب أن زعماءهم آل ضيغم من جنب من مذحج، وقد دخلوا في عبدة. وآل ضيغم إلى آخر القرن السابع الهجري، لا يزالون في الجنوب في بلاد مذحج. ويظهر - استثناساً بالأسماء - أن آل علي وآل رشيد من ذرية شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي، الذي ذكره ابن رسول في كتابه " طرفة الأصحاب ". ولعل بين جدّهم الأديني عرار بن شهوان وشهوان بن منصور جداً اسمه فارس بن طعان استثناساً بنص ظن آل فارس كما سيأتي بيانه. وإنما نسبتهم إلى فارس بن طعان لأن آل خليل هم أبناء خليل بن جاسر بن علي بن عطية من آل جعفر، وقد ذكر الشريسي أن آل فارس وآل خليل بطن واحد، وابن فارس محمد كان حياً عام 1109هـ. ثم ذكر أن آل صادق من ذرية عبد الله بن محمد بن علي من آل فارس، فإذا كان آل صادق أبناء عم آل علي وكانوا من آل فارس بن طعان فآل علي من ذرية فارس. وكلهم من آل جعفر، وقد ذكر ابن بسام أن آل جعفر من الضياغم. ولهذا كله رجحت أن لآل علي وآل رشيد جداً اسمه فارس ابن طعان إمّا من أحفاد عرار بن شهوان، وإمّا بين عرار بن شهوان، وشهوان بن منصور بن ضيغم. وعلى أي حال، فإنّحام فارس بن طعان في نسب آل رشيد استنتاج يظل مجرد احتمال. وفي نص ابن رسول أن لمنيف بن ضيغم بن منيف بن جابر ولداً اسمه راشد وله حفيد اسمه عمير بن أحمد بن راشد. وفي الكتاب المجهول المؤلف الذي نقل عنه الشيخ حمد الجاسر أخبار الخليل اللدّهم الشهوانيات في مخطوطته عن الخليل أن شهواناً أبا عرار أخو راشد عم عمير. فيحتمل أن يكون عرار حفيداً لمنيف بن ضيغم. ويحتمل أن يكون من ذرية شهوان بن منصور بن ضيغم. وعلى أي حال، فتوارث اسم شهوان وعمير وراشد يؤكد أن عرار بن شهوان وعمير بن راشد من أحفاد منيف بن ضيغم. وقال ابن مغيرة عن الجربان وعن عموم نسب عبدة: وآل السبيح بطن من شمر، وهم بطون وأفخاذ، منهم الجربان البطن الثالث من شمر عبدة: وهم بنو ضيغم ابن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن غلة ابن جلد بن مذحج أخو طيء. وكان معاوية بن الحارث من جنب والمملك في بيت جنب، وهو الذي استجار به مهلهل أخو كليب، وتزوج ابنة مهلهل واسمها عبيدة، وإليها تنسب قبائل من جنب، فولدت له أبا القبيلة ضيغماً. ومن بني ضيغم عبدة هؤلاء وكانت لهم الرئاسة على قبائل شمر من طيء بن علي "؟". وكانت رئاسة جبل طيء قديماً لجديلة بطن من طيء ثم صارت في بني نهبان ثم صارت في الجربان. ثم صارت في عبدة في آل جعفر. قال أبو عبد الرحمن في كلام ابن مغيرة: هذا تصحيف وتداخل، وسأضم إليه نصاً لابن رسول لعله يزيل شيئاً من غموض ابن مغيرة. قال شيخنا حمد الجاسر: جاء في كتاب " طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب " للسلطان عمر بن يوسف ابن

رسول المتوفى سنة 694: نسب آل منيف وهم آل ضيغم وآل رشيد من جنب، وهم المعروفون بالمعضة. وهو منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك. ويقال: إنهم من بكيل، إلا أنهم حالفوا عنس من مذحج فسموا جنباً وقيل: إنهم من نزار من عنز بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصا بن دُعَمِيَّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان. دخلوا في

(1/11)

نسب جنب، لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي، من تغلب بن وائل أخي عنز بن وائل، تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الجني. وإخوتهم من أمهم آل عايد، وآل رشيد، وبنو قيس، وآل سفر، وآل الصلت، وأصحابهم، يسمون الأبطن، من ولد هذا معاوية الجني فنسبوا إليهم. قال ضيغم بن منيف وأولاده ثمانية: منيف وشكر وعيسى وعلي ومنصور وشيبان وعامر وحارث. قال أبو عبد الرحمن: من نص ابن رسول ونص ابن مغيرة يتضح التالي: جنب، لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي، من تغلب بن وائل أخي عنز بن وائل، تزوجها روح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو ابن معاوية بن الحارث الجني. وإخوتهم من أمهم آل عايد، وآل رشيد، وبنو قيس، وآل سفر، وآل الصلت، وأصحابهم، يسمون الأبطن، من ولد هذا معاوية الجني فنسبوا إليهم. قال ضيغم بن منيف وأولاده ثمانية: منيف وشكر وعيسى وعلي ومنصور وشيبان وعامر وحارث. قال أبو عبد الرحمن: من نص ابن رسول ونص ابن مغيرة يتضح التالي: 1 - أن عبدة لا تنتسب إلى شمر بالرجوع إلى الجد شمر، وإنما يجتمعون مع شمر في أدد بن زيد، والد طيء الذي من ذريته بنو شمر، ومالك الذي من ذريته عبدة. وبين أهل النسب خلاف هل " مذحج " لقب لمالك بن أدد أم هو اسم لأم طيء ومالك.

2 - أن قبائل عبدة من ذرية ضيغم بن معاوية بن الحارث وأم ضيغم عبيدة بنت مهلهل. إلا أن أبا حزم جعل زوج عبيدة من أحفاد معاوية بن الحارث فقال: ومن بني يزيد بن حرب بن علة ابن جلد بن مالك " مذحج ": معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علي الذي تزوج بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي بنجران ومهرها أدمًا فقال في ذلك أبوها  
أَنْكَحَهَا فَفَدَّهَا الْأَرَاقِمَ، فِي ... جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ  
لَوْ بِأَبَائِنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ... ضَرَّحَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ

(1/12)

3 - سبب دخول عبدة في جنب أنهم من ذرية ضيغم بن معاوية بن الحارث وحده منبه بن يزيد بن حرب أحد الأخوة الذين شملتهم التسمية بجنب. قال ابن حزم: ولد يزيد بن حرب بن علة بن جلد ابن مالك " مذحج ": منبه والحارث، والغلي، وسنحان، وهفان، وشمران، تحالف هؤلاء الستة على

ولد أخيهم صُدَاء ابن يزيد، فسموا جُنْبًا، مع بني عمهم بني سعد العشيرة بن مالك بن عُلَّة بن جلد بن مالك، وهو مذحج. ونقل العزاوي عن كتاب "مجمع الأنساب" أن عَبْدَةَ من شمر. قال أبو عبد الرحمن: ونص ابن مغيرة يوافق نص السلطان عمر بن يوسف بن رسول. وقد جاء في هذا النص أن آل ضيغم كانوا إلى آخر القرن السابع - وهو عصر ابن رسول - لا يزالون في الجنوب في بلاد مذحج، ونسبهم إلى جنب، وذكر وجهاً آخر في نسبتهم إلى عنز بن وائل من نزار، وأنهم دخلوا في جنب لأن أمهم عبيدة بنت مهلهل تزوجها روح بن مدرك. ولا ريب أن المعروف الآن بين عَبْدَةَ انتسبهم إلى ضيغم، وعلى ذلك شواهد من الشعر العامي. وقد أفادني شيخي علامة الجزيرة حمد الجاسر - حفظه الله - أن شارل هوبر نقل عن عبيد بن علي بن رشيد خبر انتقال أجداده من الجنوب إلى الجبلين بما يشبه قصة انتقال طيء من وادي طَرْيَب في الجنوب إلى الجبلين. فهذا يعني تسليم آل رشيد بأنهم آل ضيغم. وقد نقلت الليدي أن بلنت عن محمد بن رشيد أن شمرًا الذين في الجزيرة وشمرًا أتباعه يعدون أنفسهم أقرباء قرابة رحم وقال: إن دمَاء خيولنا واحدة. قال أبو عبد الرحمن: وثمة رأي طريف ينسب الجربان إلى آل فضل وهو ما جاء في كتاب "كنز الأنساب" نقلًا عن مجلة "لغة العرب" البغدادية بعنوان بنو تغلب العدنانية. ثم إنني سألت بعد ذلك أحد الشيوخ الكبار وهو الشيخ مجول الجرباء، رئيس عشائر شمر عن تغلب وهل لها بقية موجودة في الديار الشمالية فلم يذكر لي من ذلك شيئاً، بل تعذر عليه تعيين البطن معتذراً عن ذلك بتغير الأسماء عليه، ولم ينف بالمرة وجود بقية منهم، فلما ذكرت له الفضول طابت نفسه، وارتاح لهذا الاسم كثيراً، وكأنه كان نائمًا فاستيقظ ثم قال: إنه قريب من الصواب، ثم فكر هنيهة وقال: بل هو الصواب عينه، وعد لي منهم مطلق وبنية الجرباء، رؤساء شمر أي الجد الأول المؤسس لإمارة شمر في جبل طيء، وكان ذلك في حين نبوغ أول رجالها المشهورين بهذا الاسم. وذكر بعد ذلك أشياء تدل على صدق قوله، ثم قال: الفضول اندمجوا في القبائل، وتشتتوا في البلاد، وأورد أدلة عديدة على تأييد كلامه هذا. وقال أبو عبد الرحمن: هذه إفادة انتسختها من أوراق شيخي حمد الجاسر ثم راجعت مجلة "لغة العرب" فوجدت كاتب هذا البحث الأستاذ سليمان الدخيل - رحمه الله - يذكر أن سالمًا الجرباء جد مطلق وبنية الجرباء. قال أبو عبد الرحمن: ويا ليت الدخيل أورد هذه الأدلة العديدة؟! وعلى أي حال فهذا العاصي أحد مشايخ آل الجرباء يلمح إلى أصل رحلتهم بهذا البيت من إحدى أُحْدِيَّاتِهِ على الخيل:

تَرِ لَأَبْتِكُ غَوْشَ الْيَمَنِ ... مَا هُمْ مَجْمَعٌ مِنْ بَلَدٍ

رحلة الضياغم من الجنوب إلى الشمال

ولرحلة الضياغم من الجنوب إلى الجبلين شواهد من مآثور العامة، ومن نصوص المؤرخين كنص ابن رسول. وعن هذه المرحلة قال الدكتور العثيمين ما موجه: كانت عشيرة عَبْدَةَ تسكن إحدى جهات جنوب الجزيرة، ثم هاجرت حتى حلت بجبل شمر، وهذه الهجرة منذ أكثر من أربعة قرون. وكان أمراء الجبل قبل هجرة عَبْدَةَ من قبيلة زبيد، فتغلبت عَبْدَةَ عليهم حتى أجلوهم، وآخر زعمائهم بَهِيحُ، وفي ذلك يقول أحد شعراء شمر فيما بعد:

قَبْلَكَ بَهِيحٌ حَدَرُوهُ السَّنَاعِيْسُ ... مِنْ عَقْدَةِ اللَّيِّ مَا يَحْدَرُ قَنَاهَا

قال أبو عبد الرحمن: يفهم من هذا النص أن رحيل عبدة من الجنوب إلى جبل طيء في الشمال كان في حدود القرن العاشر وهكذا يفهم من نص للشيخ العبودي سيأتي. ويفهم من نص لابن حاتم - سيأتي - أن رحيلهم في منتصف القرن التاسع. ولو استطعنا أن نصل نسب عرار بن شهوان بن صيغم بصيغم بن منيف الذي ذكره ابن رسول لاستطعنا تحديد التاريخ لرحيلهم بشكل أدق. ولو افترضنا أن عراراً هو عرار بن شهوان بن منصور بن صيغم بن منيف لكان رحيلهم في أول القرن الثامن الهجري تقريباً، لأن ابن رسول المتوفي سنة 694 ذكر أن ذرية منيف ابن صيغم لا تزال في الجنوب وعلى ذلك نجعل عصر كل فرد من سلسلة النسب منذ عرار إلى منيف ثلاثين عاماً ونضم الناتج إلى سبعة قرون توفي ابن رسول في نهايتها. وعن رحيلهم ذكر الشيخ سعد بن جنيدي قصيدة لفارس ابن شهوان الضيغمي، ذكر أنه رسم طريق ارتحال قبيلته من بلادهم إلى نجد، ورتب منازل طريقهم ترتيباً دقيقاً قال فيها يذكر القويع:

وَلَيْلٍ فِي السَّرْدَاخِ لِأَعْلَةِ الْحَبَا ... هَشِيمِهِ وَقَافٍ وَحَمَضُهُ بَادٌ  
وَوَطِينَتِهَا وَادِي الْقَوَيْعِ تَعَمَّدٌ ... تَمَّتْنِيهَا لَوْلَا الْهَيَامُ بِلَادٌ  
وَلَيْلٍ بِالْحَدْبَا لِأَعْمَرٍ جَاهَا ... شَدَّوْا وَخَلَّوْا فِي الْمَرَاحِ سَوَادٌ

وقال في موضع آخر: وقال شاعر من الضياغم وهو يرسم طريق هجرتهم:

لَيْلٍ فِي الْقَمْرَا وَلَيْلٍ فِي الرَّكَا ... وَلَيْلٍ فِي حَزْمِ الْحَصَاةِ شَدَادٌ  
وَلَيْلَةٌ وَرَدْنَا مَاسِلَ وَمُوَيْسِلَ ... وَجِيَهَ الْمَغَارِفِ كَيْهَنَ جَدَادٌ

ثم ذكر بعد هذين البيتين ثلاثة الأبيات الآتفة الذكر وذكر في موضع آخر أنهم لفارس بن شهوان الضيغمي وقد مر به قومه في طريق هجرتهم إلى شمال نجد. وذكر شيخنا حمد الجاسر مؤلفاً حديثاً - ولم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه - تحدث عن نجائب من الخيل تدعى الهُم الشهوانيات. قال الشيخ حمد: جاء في هذا المؤلف: شهوان عبيدة أي من قحطان وسميت باسم راعيها شهوان أبو عرار أخو راشد عم عمير. ثم قال: وأورد أخباراً عن هذه الخيل وشعراً لشهوان أبو عرار جاء فيه:

لَنَا مَنْرَلٌ مَا بَيْنَ الْأَفْلَاجِ وَالْحَسَا ... وَمَا بَيْنَ صُنْعَا وَالسَّلِيلِ وَحُودِ  
إِلَى حَوْذَرُوَا يَبْغُونَ الْأَسْعَارَ بِالْقَرَى ... حَدَرْنَا عَلَى مِثْلِ الْغَمَامِ السُّودِ  
كِبَارِ الشُّوَادِي مِيرْنَا مِنْ زُرُوعِهَا ... غَرَابِرٍ بِلَا حَطَبٍ وَلَا وَقُودِ  
إِلَى حَافِهَا سَبْعِ الْخَلَا بَاتِ جَايِعٍ ... بِيَاظِنِهَا مِثْلَ النَّسُورِ لِبُودِ

تمنيب من حطمت الليالي لعلنا ... ندرك بعض يا أبو ربيع حمود

ان صار مالك من دراعيك نجده ... فشر بك باعضاد الرجال يكود

وقال الشيخ حمد: إنه أورد أشهراً لعرار بن شهوان وأخباراً تتعلق بخيله. وذكر الشيخ محمد العبودي معركة بين آل ضيغم وسلطان مارد، قتل فيها حميدان بن راشد بن ضيغم، ابن عم عرار ابن شهوان، وسلطان مارد معاً. وقال في ذلك عمير بن راشد قصيدة مطلعها:

تَهَيَّأْنَا عِنْدَ أَبْرَقِ السَّيْحِ عَرْكَةً ... تَمَّتْ بِهَا حَضَارَ الرَّجَالِ غِيَابُ

وحدد عصر هذا الشعر بأنه بعد عصر الشاعر جرير بحوالي تسعة قرون. ويذكر الأستاذ عبد الله بن خالد الحاتم أن عرار بن شهوان آل ضيغم جد آل رشيد أمراء حائل وأنه عاش سنة 850هـ. وذكر له قصيدة يتشوق فيها إلى نجد، ويفهم منها أن ابن عمه عمير بن راشد موجود بنجد، فمما ورد من

هذه القصيدة قوله:

يقول عرار قول من ضلَّ موقِف ... على الدار يرثي بالدموع الدرايف  
قليل الجدا من دمنه هد رثمه ... مزاعيج هوج الداريات العواصف  
لكي بما رثت خيم ظلايل ... محتها صروف للعوادي قرايف  
إلى أن قال:

فلا وأعلا لولا التمي سماجه ... أوقف بنجد آمن غير خايف

(1/14)

وألقي عمير بالغديبة موقف ... على شلشل بيض الجمال الشرايف  
ومن الأخبار التي يتناقلها السمار ما حدثني به الشيخ إبراهيم ابن عثمان أن فارس بن شهوان سكن  
معه والده بوادي الدواسر، فكان يعطي جارته من صيده وغنائه، فتطور ذلك إلى أن أظهرت له  
الود، فلم يستجب لذلك، إكراماً لجاره، فلما رأته انصرافه عنها أظهرت لوالده أنه يسيء إليها،  
فلما التأثر في وجه والده رحل مع من خف معه من قومه وماليكه، فأرسل شهوان عبدة عمارة ليرافق  
فارساً، ويعرف اتجاهه، فلما أحس فارس بمرافقة عمارة له صار يأخذ بيض نعام، فكلما نزل منزلاً  
أظهر بيضة وملاها ماءً، ووضع بجانبه تماً ودفنها تحت مبرك ناقته حتى نزل منزلاً قريباً من ظفار سمى  
فارساً باسمه. وبعد ذلك أمر عمارة أن يعود إلى والده، ووصف له مدافن بيض النعام، لتكون له زاداً  
ومعاماً لطريقه، وقال بهذه المناسبة قصيدة مطلعها:

عمار علك عن ذا تنثني ... من يم شهوان عزيز جار

وزيدنا عبد الجبار الراوي تفصيلاً فيذكر أن شمرأ قتلت بهيجا شيخ العبيد فهاجرت العبيد إلى جزيرة  
العراق. وقد أشارت شمر على بهيج أن يدخل على شيوخ شمر، ويصالحهم فأبى ذلك وقال:

يقول بهيج بن ذبيان مثايل ... وذمعه على الاملاك دؤن الشلايل  
جلونا عن ديارنا العديبات شمر ... قراح وبرد ما، يداوي الغلايل  
وتحينا رقاب القود عنهم وغربنا ... وعين الزبيديات لنجد مايل  
لا صار ما عدل يعادل عديله ... ما ينقعد بالدار والشيل مايل  
ولا صار ماحق الفتى بدزاعة ... هببت يا حكم يبي بالداخايل  
صبار على الزهدة بسو فعلهم ... بالنسب ما يوجد لهم بالقبايل  
لنام لو حججتهم كعبة الرضا ... يجازونك عنها البايرات الفسايل  
رحيل آل الجرباء إلى العراق

(1/15)



وآل الجرباء هم زعماء شمر ورؤساء الجبل، وأبعد ذكر لهم وجدته عن وفاة اثنين منهم عام 1100 هـ وعام 1103 هـ وقد رحلوا من نجد عام 1205 هـ بعد هزيمتهم أمام ابن سعود فبنوا زعامتهم في العراق وسوريا. قال حسين خزعل: وكانت الرئاسة العامة لشمر في أسرة الجرباء من بطن سنجارة، وقد أجلاهم الأمير سعود ابن عبد العزيز عن ديارهم عام 1205 هـ بعد أن نازهم قرب مدينة حائل وقتل مصلط بن مطلق. وسار مطلق من جبل شمر إلى العراق وبر الشام، ورافق أحمد باشا الجزار إلى الحج، ثم أقام في بادية السماوة من العراق. أما عن رحيل آل الجرباء فيذكر عباس العزاوي أن آل محمد الجرباء أمراء شمر برئاسة فارس الجرباء مألوا إلى العراق في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. ويزيدنا يوسف البسام تفصيلاً فيقول: ويعرف رؤساء شمر السابقون بآل محمد وآخريهم فارس الجرباء وقد لقب بالجرباء نسبة لأمه التي ابتليت بمرض الجدري، واصبحت جرباء على أثر هذا المرض. وعلى عهد الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى وابنه الإمام عبد العزيز نزع فارس الجرباء من جبل شمر واستوطن بادية الجزيرة في العراق بين دجلة والفرات، وذلك بعد أن انقطعت الأمطار مدة طويلة وأجدبت الأرض. وعلى أثر نزوح فارس الجرباء تبعه الكثير من شمر واستقروا في العراق ولا يزالون حتى الآن وتولى أمر جبل شمر آل علي. وذكر عبد الجبار الراوي أن نجداً أصابها محل، فاضطر شيخ عشيرة شمر فارس إلى الهجرة مع أربعين بيتاً من قومه، طلباً للمرعى، حتى وصل إلى جزيرة العراق، فنزل جارا على عشائر العبيد، ثم ذكر قصة شبه خرافية، لا سيما ما يتعلق برثاة شمر في حين أنه من المعروف عند أهل نجد شهرة قبائل الشمال - وبالأخص الشامرة - باللباس الأنيق والمظهر الباذخ. وذكر في موضع آخر أن أول من رحل من نجد إلى الجزيرة في العراق هو فارس الجرباء، وأنه الرئيس الأول لآل محمد ثم ذكر بنيه وأحفاده. وذكر أن فارساً لقب بالجرباء نسبة إلى أمه، التي ابتليت بالجدري، فسميت به وإن كانت قد شفيت من هذا المرض. قال أبو عبد الرحمن: ولا بأس من سياق هذه القصة التي أوردها الراوي. قال: أصاب نجداً محل، اضطر شيخ عشيرة شمر حينئذ فارساً إلى الهجرة مع أربعين بيتاً من بيوت الشعر، طلباً للمرعى، ومضى سائراً حتى بلغ الجزيرة، فنزل قصيراً "أي مجاوراً" على عشائر العبيد، التي أضافته، وأولمت له وليمة كبيرة دعت إليها رئيس عشائر طيء والجبور، وكان المهاجرون من شمر في ثياب رثة، يعلوها الوسخ، بحيث اشمأز المذمومون منها فتناولوا الطعام على كره منهم، وقد خيل إليهم أن هؤلاء المهاجرين هم من عشيرتي صلبة، أو هتيم اللتين يعدهما البدو من العشائر الحقيرة، ولما شعر فارس شيخ شمر بما بدا على وجوه رؤساء العبيد وطيء والجبور، من الاشمأز، أراد أن يثبت لمضيفيه أنه هو وعشيرته من النبل والكرم بحيث يضرب بهما المثل، فقرر أن يقابل الوليمة بملتها، ودعا رؤساء العبيد وطيء والجبور، لتناول الطعام عنده، إلا أن هؤلاء ترددوا في قبول الدعوة، اعتقاداً منهم بأن هؤلاء ليسوا أهلاً لإجابته دعوتهم، وحضور وليمتهم، ولكنهم بعد لأي أجابوا الدعوه على مضض، فرأوا المناسف - جمع منسف وهو ما يوضع فيه الطعام - وقد ملئت بالطعام واللحم، إذ نحر لهم جُزراً، وكانت المناسف من الضخامة بحيث علقت بما السكاكين لتساعد كبار السن على تقطيع اللحوم. وضخامة المناسف تدل عند البدو دلالة قاطعة على عظمة صاحبها، ولذلك حسبوا هؤلاء النازلين ألف حساب، خوفاً على أنفسهم، لاعتقادهم أن وراء هذه المناسف عشائر كبيرة العدد، فقرروا أن يغتالوا فارساً وجماعته قبل أن تصل إليه عشائره. كانت وليمة الشيخ فارس باعثةً للشيخ الثلاثة على التآمر لقتل فارس ورهطه، كما أسلفنا، إلا أن فارساً شعر بالمؤامرة، فطلب من نسائه أن يخلعن

حليهن، ويقدمنه إلى نساء الرؤساء الثلاثة هدية، على أن يتوسطن عند أزواجهن للحيلولة دون الفتك به وبأعوانه، فلبين الطلب، ووعدنهن خيراً، فلما أقبل الليل لم تفرش نساء زعماء عبيد وطيء والجبور الفرش - وهي عند العرب علامة يستدل منها الرجال على حدوث أمور خطيرة -، فسئلن عن السبب، فطلبن الأمان للمهاجرين

(1/16)

النازلين

(1/17)

فأعطين الأمان، وأجن إلى ما أردن، فمدت الفرش وهكذا تمكنت جماعة فارس من الاستيطان في الجزيرة، والاستقرار فيها، ثم إن فارساً قطع نماذج من جميع الأعشاب والحشائش التي تنبت في الجزيرة، وملاً منها زكبيةً وأرسلها مع أعوانه إلى عشيرته في نجد، قاصداً بذلك إخبارهم بأنواع الحشائش الممتازة للرعي، في الأرض التي نرح إليها، حاثاً إياهم على اللحاق به، فما لبثت عشائر شمر أن لبت طلبه، ورحلت إليه جماعات، لا تقل كل جماعة منها عن خمسين بيتاً، فتكاثرت شمر، وحدث ما كان يخشاه رؤساء العبيد وطيء والجبور، فأورث هذا الأمر نزاعاً بين هؤلاء بالاتفاق مع الصايح من جهة وبين شمر من جهة أخرى، على أرض الجزيرة التي نزلوها، ونشب قتال دام تسعين يوماً، انتصرت فيه شمر، وأجبرت عشائر الصايح والعبيد وطيء على الجلاء، عن أماكنها في الجزيرة، فعبرت الصايح دجلة، متجهة نحو الحويجة، فاتخذتها منازل لها، وانتقلت طيء من مكانها، وجعلت مساكنها غرب سنجار، أما الجبور فقد سكنوا منطقة الخابور، وهكذا خلا الجو لشمر في الجزيرة، وتمت لها السيطرة على أطرافها ونواحيها، حتى آل بها الأمر إلى أن تفرض نوعاً من الضرائب يسمى " الخوة " تأخذها من كل عشيرة تنزل منطقتها، واضطر كل من يعبر الجزيرة إلى أدائها صاغراً، وظلت هذه " الخوة " نافذة المفعول، وشملت جميع القرى المجاورة للبادية. ولما تألفت الحكومة العراقية، بدأت قواتها النظامية تكافح هذه " الخوة " بكل ما أوتيت من قوة، إلا أنها لم تتمكن من استئصال شأفتها وقطع دابرها بالمرّة. وقد بذلت جهوداً كثيرة لإنشاء مركز حكومي في الجزيرة حتى تم ذلك في السنة الأولى من تسلّمى زمام مديرية الشرطة العامة، كما سبق أن ألفت في بادية الشامية مثلها قبل ذلك، واستطاعت أن تمنع الخوة فيها. أما " الخوة " في حد ذاتها فهي طريقة تدفعها العشائر التي تدخل الجزيرة طوعاً أو كرهاً، وهي مقدار مُعيّن من الدهن والغنم، يدفع إلى شيخ معين من شمر في كل سنة، وتتخذ " الخوة " من المُستطرق أيضاً، حيث يجب عليه أن يدفع مقداراً من النقود عن كل جمل يمر بالجزيرة، وكذلك في القرى التي تدفع ما عليها من الحبوب في كل موسم، وتقسّم " الخوة " على شيوخ شمر الذين يعرف كل منهم نصيبه منها، فالشيخ الفلاني يأخذ " الخوة " من الحديديين، والآخر من الجبور أو المُستطرقين أو من قرى الموصول أو من غنم التجار التي ترسل

إلى سورية. وهكذا لا يفلت أحد من أيدي جباة هذه الضريبة. ولم تزل عشائر شمر في تكاثر وازدياد، منذ استيلاء السعوديين على حائل عاصمة ابن الرشيد، حيث هاجر عدد كبير من عشيرة عبدة من نجد إلى الجزيرة في العراق ويؤلف هؤلاء الآن القسم الأكبر من شمر عبدة. ومن أشهر رؤساء عبدة النازحين إلى العراق الشيخ عقاب العجل، رئيس فرقة الأحية من عبدة، وسبب نزوحه وهجرته هو عدم اعتراف شمر بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل الرشيد. هذا، وأغلب عشائر منطقة حائل عاصمة ابن الرشيد القديمة من شمر، في الوقت الحاضر. قال أبو عبد الرحمن: لي على هذه النصوص تميمات واستدراكات على هذا النحو: أعطين الأمان، وأجبن إلى ما أردن، فمدت الفرش وهكذا تمكنت جماعة فارس من الاستيطان في الجزيرة، والاستقرار فيها، ثم إن فارساً قطع تماذج من جميع الأعشاب والحشائش التي تنبت في الجزيرة، وملاً منها زكيةً وأرسلها مع أعوانه إلى عشيرته في نجد، قاصداً بذلك إخبارهم بأنواع الحشائش الممتازة للرعى، في الأرض التي نرح إليها، حاثاً إياهم على اللحاق به، فما لبثت عشائر شمر أن لبت طلبه، ورحلت إليه جماعات، لا تقل كل جماعة منها عن خمسين بيتاً، فتكاثرت شمر، وحدث ما كان يخشاه رؤساء العبيد وطيء والجبور، فأورث هذا الأمر نزاعاً بين هؤلاء بالاتفاق مع الصايح من جهة وبين شمر من جهة أخرى، على أرض الجزيرة التي نزلوها، ونشب قتال دام تسعين يوماً، انتصرت فيه شمر، وأجبرت عشائر الصايح والعبيد وطيء على الجلاء، عن أماكنها في الجزيرة، فعبرت الصايح دجلة، متجهة نحو الحويجة، فاتخذتها منازل لها، وانتقلت طيء من مكاتها، وجعلت مساكنها غرب سنجار، أما الجبور فقد سكنوا منطقة الخابور، وهكذا خلا الجو لشمر في الجزيرة، وتمت لها السيطرة على أطرافها

(1/18)

ونواحيها، حتى آل بها الأمر إلى أن تفرض نوعاً من الضرائب يسمى " الخوة " تأخذها من كل عشيرة تنزل منطقتها، واضطر كل من يعبر الجزيرة إلى أدائها صاغراً، وظلت هذه " الخوة " نافذة المفعول، وشملت جميع القرى المجاورة للبادية. ولما تألفت الحكومة العراقية، بدأت قواتها النظامية تكافح هذه " الخوة " بكل ما أوتيت من قوة، إلا أنها لم تتمكن من استئصال شأفتها وقطع دابرها بالثمرة. وقد بذلت جهوداً كثيرة لإنشاء مركز حكومي في الجزيرة حتى تم ذلك في السنة الأولى من تسلمتي زمام مديرية الشرطة العامة، كما سبق أن ألفت في بادية الشامية مثلها قبل ذلك، واستطاعت أن تمنع الخوة فيها. أما " الخوة " في حد ذاتها فهي ظريفة تدفعها العشائر التي تدخل الجزيرة طوعاً أو كرهاً، وهي مقدار معين من الدهن والغنم، يدفع إلى شيخ معين من شمر في كل سنة، وتؤخذ " الخوة " من المستطرق أيضاً، حيث يجب عليه أن يدفع مقداراً من النقود عن كل جمل يمر بالجزيرة، وكذلك في القرى التي تدفع ما عليها من الجبوب في كل موسم، وتقسم " الخوة " على شيوخ شمر الذين يعرف كل منهم نصيبه منها، فالشيخ الفلاني يأخذ " الخوة " من الحديديين، والآخر من الجبور أو المستطرقين أو من قرى الموصل أو من غنم التجار التي ترسل إلى سورية. وهكذا لا يفلت أحد من أيدي جباة هذه الضريبة. ولم تزل عشائر شمر في تكاثر وازدياد، منذ استيلاء السعوديين على حائل عاصمة ابن الرشيد، حيث هاجر عدد كبير من عشيرة عبدة من نجد إلى الجزيرة في العراق

ويؤلف هؤلاء الآن القسم الأكبر من شمر عَبْدَةَ. ومن أشهر رؤساء عَبْدَةَ النازحين إلى العراق الشيخ عقاب العجل، رئيس فرقة الأحية من عَبْدَةَ، وسبب نزوحه وهجرته هو عدم اعتراف شمر بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل الرشيد. هذا، وأغلب عشائر منطقة حائل عاصمة ابن الرشيد القديمة من شمر، في الوقت الحاضر. قال أبو عبد الرحمن: لي على هذه النصوص تميمات واستدراكات على هذا النحو: ونواحيها، حتى آل بها الأمر إلى أن تفرض نوعاً من الضرائب يسمى "الخوة" تأخذها من كل عشيرة تنزل منطقتها، واضطر كل من يعبر الجزيرة إلى أدائها صاغراً، وظلت هذه "الخوة" نافذة المفعول، وشملت جميع القرى المجاورة للبادية. ولما تألفت الحكومة العراقية، بدأت قواتها النظامية تكافح هذه "الخوة" بكل ما أوتيت من قوة، إلا أنها لم تتمكن من استئصال شأفتها وقطع دابرها بالمرّة. وقد بذلت جهوداً كثيرة لإنشاء مركز حكومي في الجزيرة حتى تم ذلك في السنة الأولى من تسلّمى زمام مديرية الشرطة العامة، كما سبق أن ألفت في بادية الشامية مثلها قبل ذلك، واستطاعت أن تمنع الخوة فيها. أما "الخوة" في حد ذاتها فهي ظريفة تدفعها العشائر التي تدخل الجزيرة طوعاً أو كرهاً، وهي مقدار مُعَيّن من الدهن والغنم، يدفع إلى شيخ معين من شمر في كل سنة، وتؤخذ "الخوة" من المُستطرق أيضاً، حيث يجب عليه أن يدفع مقداراً من النقود عن كل جمل يمر بالجزيرة، وكذلك في القرى التي تدفع ما عليها من الحبوب في كل موسم، وتقسم "الخوة" على شيوخ شمر الذين يعرف كل منهم نصيبه منها، فالشيخ الفلاني يأخذ "الخوة" من الحديديين، والآخر من الجبور أو المُستطرقين أو من قرى الموصول أو من غنم التجار التي ترسل إلى سورية. وهكذا لا يفلت أحد من أيدي جباة هذه الضريبة. ولم تنزل عشائر شمر في تكاثر وازدياد، منذ استيلاء السعوديين على حائل عاصمة ابن الرشيد، حيث هاجر عدد كبير من عشيرة عَبْدَةَ من نجد إلى الجزيرة في العراق ويؤلف هؤلاء الآن القسم الأكبر من شمر عَبْدَةَ. ومن أشهر رؤساء عَبْدَةَ النازحين إلى العراق الشيخ عقاب العجل، رئيس فرقة الأحية من عَبْدَةَ، وسبب نزوحه وهجرته هو عدم اعتراف شمر بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل الرشيد. هذا، وأغلب عشائر منطقة حائل عاصمة ابن الرشيد القديمة من شمر، في الوقت الحاضر. قال أبو عبد الرحمن: لي على هذه النصوص تميمات واستدراكات على هذا النحو:

(1/19)

أ - ليس من البعيد أن آل محمد لقبوا بآل الجرباء لأن أهمهم أصيبت بالجدري، إلا أن فارساً ليس أول من لقب بذلك كما زعم يوسف البسام والراوي، لأنني وجدت هذا اللقب مستعملاً قبل مولد فارس بن محمد الجرباء بعشرات السنين، فقد ذكر مؤرخو نجد في أحداث سنة 1100هـ قتل عمار الجرباء. وذكروا في أحداث سنة 1103هـ أو 1104 قتل مصلط الجرباء.

ب - لم يرحل آل الجرباء بسبب المَحَل، بل رحلوا بسبب هزيمتهم أمام آل سعود كما سيأتي بيان ذلك في الأحداث التاريخية. ولم يرحلوا بزعامة فارس وإنما رحلوا بزعامة أخيه مطلق، يصحبه أخوه فارس وقرينيس. ولكن المؤرخين العراقيين لما رأوا أن الإمارة في ذرية فارس ظنوا أن شمرًا رحلت بزعامته. وإنما كان فارس زعيماً قبل ابنه صفوق ولعل من أحفاده فارس المذكور في عهد محمد بن

عبد الله بن رشيد.

ج - سكنوا في جزيرة العراق بين ثلاثة أهر وهي دجلة من الشمال والشرق والفرات من الجنوب والخابور من الغرب. ونزح قسم آخر إلى جزيرة سوريا جنوب الفرات غربي الخابور. ومشايخ عشائر سنجارة في سوريا أبناء عم آل محمد وتعدادهم في عبدة على الأصح المشهور.

د - منذ رحل آل محمد بقوا هناك بقاء استقرار، أما عشائهم فهم لا يزالون رُحلاً بين العراق ونجد، إلا أن أقاربهم الأذنين بقوا هناك، كما أن جمهرة عبدة بقيت هناك أيضاً، إلا من لم يؤثر العودة إلى جزيرة العراق بعد عودتهم إلى نجد. وعن قصة عودتهم إلى نجد بعد رحيلهم إلى الجزيرة نجد إشارتين: أولاهما: في سنة 1224هـ بعد انهزام شمر أمام الظفير، في جزيرة العراق كاتبوا الإمام سعوداً فأذن لهم وظهروا إلى نجد.

وأخراهما: سنة 1231هـ بعد قتل زعيمهم بُنيّة بن قرينيس، جلاًوا من الجزيرة ونازلوا قومهم في الجبل.

هـ - ذكر يوسف البسام في النص الأنف الذكر أن فارس الجرباء نزح من جبل شمر، واستوطن بادية الجزيرة في العراق، وذلك بعد أن انقطعت الأمطار مدة طويلة، وعلى أثر نزوح فارس تبعه الكثيرون من شمر واستقروا في العراق وذلك في عهد الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز. ووصف فارساً بأنه آخر آل محمد رئاسة في نجد. قال أبو عبد الرحمن: إنما كانت رحلتهم في آخر عهد الإمام عبد العزيز حيث أجلاهم ابنه سعود، ولولا أنه قال " واستقروا " لقلت: يحتل أن شمرأ رحلت مع فارس بسبب الجذب في عهد محمد بن سعود ثم رحلت جالية في عهد سعود.

(1/20)

و - من المعروف المشهور بين المؤرخين أن زعامة الجبل لآل الجرباء بادية وحاضرة ثم لآل علي ثم لآل الرشيد بيد أن الدكتور العثيمين يأبي ذلك. قال متعقباً الريحاني: ولعله أدق لو قيل: إن الجرباء كان زعيم بادية جبل شمر، لأن إمارة حاضرة الجبل " حائل " كانت لآل علي قبل انضمام المنطقة إلى آل سعود. ولم يرتض الدكتور رأي " هوجارث " في قوله بأن عبد الله ابن رشيد زعيماً لقبائل شمر. ولم يرتض قول الفاخري عن عبد الله بن رشيد " رئيس بادية شمر ". قال أبو عبد الرحمن: حيثما أطلق الجبل فإنما يراد به سكانه من بادية وحاضرة. وزعامة آل الجرباء للجبل إنما هي زعامة لكافة قبائل شمر كزعامة ابن ربيعان مثلاً لكافة قبائل عتيبة وكزعامة ابن هادي لكافة قبائل قحطان. وهذا لا يمنع من وجود إمارة خاصة بالحاضرة، وأن آل الجرباء لا يهتمون بخاصة الحاضرة، إلا أن الرابطة بين الحاضرة والبادية الغارات والمغازي والقراية من ناحية النسب " أو الولاء في الأغلب الأعم ". لهذا فالحاضرة تبع لراية آل الجرباء. ثم تحولت زعامة الجبل بادية وحاضرة من شيخ كافة البادية التقليدي وهو الجرباء إلى أمير خاصة الحاضرة وهو ابن علي. وليس من شرط هذا التحول أن يكون مقرأ في عرف مشيخة البادية أو أن تكون قبائل شمر مذعنة لهذا التحول. وإنما تم هذا التحول من ولي الأمر الحاكم من آل سعود، فهو الذي اختار أن تكون زعامة الجبل بادية وحاضرة لابن علي، ثم لابن رشيد، بحيث يعتبر من شذ عن هذه الطاعة من قبائل شمر متمرداً. وعلى هذا دلائل: منها أن إمارة آل علي لم تسبق عهد آل سعود كما قال الدكتور العثيمين، فقد بينت في حديثي عن آل علي أن

قبيلة شمر دانت للدعوة قبل عام 1178هـ بناء على نص من "لمع الشهاب". ومنها أن الشيخ عقاب بن عجل نوح من حائل لأن شمرأً أبت الاعتراف بشيخ أو زعيم في حائل إلا إذا كان من آل رشيد، فهذا دليل على أن ابن رشيد زعيم الكافة من باديته. ومنها أن حاضرة حائل حاربت مطلق الجرباء وباديته وكاتب الإمام عبد العزيز تخبره بأن مطلقاً نكث فهذه الأحداث تدل على أن لأمير الحاضرة زعامة رسمية على البادية تطالب بها وتقاتل عليها. ومنها أن قبائل شمر الموجودة بنجد شاركت في غزوات آل سعود، ولم نر الراية معقودة لأحد مشايخ شمر، وإنما كانت القيادة لابن علي أو ابن رشيد. وقال الدكتور شفيق الكمالي تعليقا على نص ل " دائرة المعارف الإسلامية " في مادة بلاد العرب حول دفع طيء وزبيد " الحوة " لشمر: أما عدم دفع " الحوة " فصحيح، وقد استبدلت " الحوة " حين دخول فارس الجرباء إلى الجزيرة بالمصاهرة، فقد زوج ابنه صفوق من عمشة ابنة شيخ طيء، وكان ذلك في حدود عام 1225هـ. قال أبو عبد الرحمن: ولعل تواريخ الحجاز تكشف لنا عن تاريخ الضياغم، فقد رأيت عرارا يذكر الأشراف في شعره، كما رأيت العصامي يذكر وقعة بين الأشراف وشمر كما يذكر أن الشريف إدريس الذي نافسه ابن عمه محسن يموت في جبل شمر ويدفن بباطب سنة 1033.

ويذكر مصطفى مراد الدباغ أنه من المحتمل أن قرية جربا من عمل جنين في فلسطين وجرباء في شرقي الأردن تنسبان إلى قبائل الجربة الشمرية العراقية نزلتها وطبعت اسمها عليها. قال أبو عبد الرحمن: وليلاحظ أن آل محمد من آل الجرباء دون العكس، وأن آل محمد لا تشمل آل الجرباء وإنما تقتصر على ذرية محمد بن سالم الجرباء. ولسؤدد آل الجرباء صارت بادية شمر في العراق تسمى شمر الجرباء. وبقي آل الجرباء على ذكر من أهل نجد يقصدهم الشعراء وينالون منحهم ويستفزع بهم أبناء عمهم في شمال نجد. وبالعكس ذلك وجد في شمر الجزيرة من يتشوق إلى نجد فهذا شاعر من شمر، يتبرم من شيعة العراق ويتشوق إلى حائل فيقول:

ياعون من طالبعك يا بززان ... ونام باشناقك هني  
ياعون من فارقك يا البرعوث ... وفراق عبادة علي  
من أحداث آل الجرباء التاريخية

(1/21)

أ - في سنة 1205هـ جهز الشريف مكة غالب بن مساعد أخاه عبد العزيز، بجيش اشتركت فيه بعض البوادي، لمهاجمة الدرعية، ثم خرج غالب بجيش عظيم، لأمداد أخيه، ثم لما انهزم بعد محاصرتهما لبلد الشعراء، بدأ سعود بن عبد العزيز يغير على القبائل التي تمردت، وانضمت إلى الشريف، ومن هؤلاء مطير وشمر، كانوا على الماء المعروف بالعدوة لشمر، قرب حائل، ورئيسهم حصان إبليس. وقد قصدهم الإمام سعود في هذا المكان، فهزمهم، وقتل في المعركة رئيسهم مسعود " حصان إبليس " وسمرة "؟" المشهور رئيس العبيات من مطير، وأبو هلبية من مطير. وكانت هذه الواقعة في آخر ذي الحجة من هذا العام. إلا أن هؤلاء القوم بعد انهزمهم استنفروا بقية قبائلهم، وأرسلوا إلى سعود يدعونه للمنازلة، ويندرونه بمسيرهم إليه، وكان في مكانه بالعدوة، يقسم الغنائم، فثبت لهم بعد

مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ بِزَعَامَةِ مَسْلُطِ بْنِ مَطْلُقِ الْجُرْبَاءِ، الَّذِي نَذَرَ أَنْ يَخْتَرِقَ " صِيَوَانَ " سَعُودٍ بِفَرَسِهِ. وَقَدْ أَرَخَى مَسْلُطُ عَنَانَ فَرَسِهِ لِيَتِمَّ نَذْرُهُ، فَاخْتَنَفَهُ قَوْمُ سَعُودٍ بَعْدَ مَا ضَرَبَهُ رَجُلٌ بِعُودٍ يَشْوِي بِهِ الْقُرْصَ، فَطَرَحَهُ عَنِ جِوَادِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قُتِلَ وَأَهْزَمَ اتِّبَاعُهُ. وَكَانُوا عِنْدَمَا قَدَمُوا عَلَيْهِ أَقْبَلُوا مَقْرَنِينَ إِبِلَهُمْ، فَثَبَّتَ لَهُمْ سَعُودٌ وَجِيشَهُ، وَأَوْقَدُوا فِيهِمْ وَفِي إِبِلِهِمْ بِالرِّصَاصِ، فَلَمَّا أَهْزَمُوا تَرَكُوا إِبِلَهُمْ مَقْرَنَةً بِالْحِبَالِ، فَغَنِمَ مِنْهُمْ سَعُودٌ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ بَعِيرٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَتَبَعَ أَثَرَهُمْ يَوْمَينَ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ وَيَقْتُلُ الرِّجَالَ. وَقَدْ كَانَ مَطْلُقُ الْجُرْبَاءِ وَالِدَ مَسْلُطِ، يَرَى التَّرِيثَ فِي مَهَاجِمَةِ آلِ سَعُودٍ، بَعْدَ هَزِيمَتِهِمُ الْأُولَى بِالْعُدُوءِ، وَيَقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لَمَسْلُطِ الْجُرْبَاءِ قِيلَتْ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ:

عَدَيْتُ رُوسَ مُشْمَرْخَاتِ الْمَرَاقِيبِ ... رَجِمَ طَوِيلٍ نَائِفٍ مَقْلِحِزٍ  
جَرَيْتُ صَوْتِ مِثْلِ مَا جَرَّهَ الذَّيْبُ ... أَوْجَسَ ضَمِيرِي مِنْ ضَلُوعِي بَيْنَ  
خَوْفِي مِنَ اللَّيْلِ رُؤْسِهِمْ كَالْجَعَائِبِ ... وَسَيْفٍ عَلَى غَيْرِ الْمَفَاصِلِ يَجْزِ  
لَا صَارَ مَنَائِي سِوَاةَ الْجَلَالِيبِ ... بَقْلَايِعَ بَأَيْمَانِنَا لَهُ نُخْزِ  
أَحْسَنَ تَصَبَّرَ وَأَجْمَلَ الصَّبْرَ بِالطَّيْبِ ... هَذِي حَيَاةَ كُلِّ ابْنِهَا تَلْزِي  
وَالْحَرَّ لَا صَكَّتْ عَلَيْهِ الْمَغَالِيبُ ... مَلْزُومٌ عَنِ دَارِ الْمَذَلَّةِ بَيْنَ

قال أبو عبد الرحمن: البيت الأخير إيذان بالجللاء من جبل شمر، وما كان في نية مسلط الجللاء، والأشبه أن يكون هذا الشعر لمطلق الجرباء وال مسلط، وهذا ما حصل بالفعل فبعد هزيمة شمر، وقتل مسلط، رحلت شمر بزعامته مطلق الجرباء إلى العراق، فاستقرت في منطقة الجزيرة وأصبح لها نفوذ قوي هناك. وقال ابن سند بأسلوبه الأدبي العاطفي: وله أيام منها العُدوة لسعود بن عبد العزيز عليه، وفي ذلك اليوم قتل ابنه مسلط، وكان شجاعاً هزيراً طاعن ذلك اليوم حتى كف كل رعيل، وقرى كل ذابل وصقيل، كيف ومطلق أبوه ذلك الباسل، ومحمد جده الذي تحاماه القنابل، وأما مطلق فإنه في ذلك اليوم هزم الكتائب، وأروى من دم الفرسان كل سنان وقاضب:

قَوْمٌ إِذَا حَرَبُوا فَاسَادُ الشِّيرَى ... وَإِذَا هُمْ أُعْطُوا فَأَجْرُ جُودِ  
يَاعِينِ إِنْ مَاتُوا فَقَدْ مَاتَ النَّدَى ... فَعَلِيهِمْ حُزْنًا بَدَمَعِكَ جُودِي  
حَاصُوا الْوَعَا بِصَوَارِمِ وَشِيَاظِمِ ... قُبِّ الْبُطُونِ، تَوَّمُ جَيْشِ " سَعُودِ "  
فَتَفَرَّقَتْ مِنْهُ الْكِمَاةُ كَأَتَمِّ ... نَقَدْتُ نَوَافِرُ مِنْ رَيْبِ أَسُودِ  
لَأَقَاهُمُ الْأَسْدُ الضُّبَارِمُ " مَطْلُقٌ " ... فَتَعَلَّقُوا بِشَلِيلِ كُلِّ قَعُودِ  
فَلَمَّا ضَاقَتْ عَلَى سَعُودِ الْأَوْهَادِ وَالنَّجُودِ، خَانَ ابْنُ هَذَا فَلَمْ يَكُنْ لِمَطْلُقِ مَجَالٍ، فَانْكَصَ عَلَى الْعَقْبِ وَهُوَ يَطَاعِنُ ذَلِكَ الْجَيْشَ اللَّجِبَ.

كَلَّمَا كَرَّ عَلَى فُرْسَانِهِ ... هَرَبُوا مِنْهُ كَشَاةٍ مِنْ أَسَدٍ  
مَا رَأَوْا صَبْلَمَةً إِلَّا رَأَوْا ... هَرَبًا مِنْهُ وَإِنْ كَانَ أَسَدٌ

(1/22)

فَمَا زَلُّوا مَعَهُ عَلَى كَرِّ وَفَرٍ، وَمُضَارِبَةً بِكُلِّ صَارِمٍ ذَكَرَ، حَتَّى سَمُّوا مِنَ الْمُضَارِبَةِ، فَارْجَعُوا بِصَفْقَةِ حَائِبَةٍ، وَنَجَا هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ، وَبَاءَ الْخَائِنُ بِخِزْيِهِ وَإِثْمِهِ، فَأَنَاخَ رِجَالَهُ فِي بَادِيَةِ الْعِرَاقِ، إِلَى أَنْ اخْضَرَ عَيْشَهُ

وراق. ووجدت في كراسات الشيخ مندبيل هذه الأبيات لزوجة مطلق ترثي مسلطاً وأباه:

وَبَيْتٌ وَتَّةٌ مِنْ شَلَعِ ضِرْسِهِ الْقَارِ ... اللَّيِّ صَبْرٌ لِلْجَزْرِ يَجْدُبُ مِنْبِنَهُ

عَلَيْكَ يَا حَامِي الْمُنْظَاهِيرِ، طَهْمَارُ ... لَحَّتْ فَرَاقِينِ الْعَرَبِ فَأَقْدَبْنَهُ

جَانَا عِقَابٍ فَرَّقَ الْحَزْرَ وَالْبَارِزَ ... وَعَدَا بَصِيَّادَ الْحَبَارِيِّ حَتِّينَهُ

الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي يَجِي فَرْدًا وَاجْوَارُ ... وَالشَّيْبُ لَاحَ بِقِدْلَتِي قَبْلَ حَتِّينَهُ

وقال صاحب "لمع شهاب": ثم إن عرب الشريف الذين كانوا ملتجئين به من بداءة نجد تفرقوا عنه راجعين إلى أطراف نجد، فقحطان احتاروا إلى تثلث، وعتيبة إلى بَرِيَّةِ مَكَّةَ كَرْكَبَةً وَمَا يَلِيهَا، وَأَمَّا مُطَيْرٌ فَاحتازوا إلى أرض سَمَرٍ، واتفقوا مع مُطلق الجرباء، وبادية شمر جميعها التي في الجبل، وصار بينهم أهل القرى التي في الجبل حرب، فأرسل أهل الجبل إلى عبد العزيز بن سعود أن هذا مُطلق الجرباء نكث، والتجأت مُطَيْرٌ إليه فهذا اليوم نحاربه، وكان إذا شيخ مطير حسين بن وطبان رجل شجاع، فلمَّا سمع عبد العزيز بهذا الخبر بعث ولده سعود بجيش إليهم، وعه بعض من عنزَّة، وكانوا أصدداً لِمُطَيْرٍ، وعه أيضاً بَدُو العارض: سُبَيْعُ والعجمان، وهذه المُسيرة أول معاضدته لآل سعود، وشهور شأنه في جزيرة العرب، ثم صار له صيت كبير، وهذا الجيش يبلغ خمسة آلاف رجل "بواردي" وثمان مئة فارس، فصَبَّحَ عرباً يقال لهم البراعصة من مُطَيْرٍ، وزعيمهم اسمه سعود؟ يكفى بحصان الشيطان، أو بحصان إبليس، وهو الذي كَتَبَ نفسه بهذه الكنية، وهو شجاع معدود، ومعه مئتا فارس من رفقته، فحاربوا سعوداً وقد قتل من فرسانه نفر وقد قتل حصان إبليس وأولاده، وأولاد أخيه، وأخذت بيوته وأغنامهم، وكانت إبليهم غائبة في الفلاة. وبعد هذا اشتد الأمر على مطلق الجرباء، وحسين الدويش، وضاعت بهم الدنيا وكانا على ماء يسمى "يا طب" عن حائل ثمان ساعات، فأقبلا صائلين على سعود، وعسكروا يريدون منا جزة الحرب معه، فوقعت الحروب بينهم وبين سعود، فساق أولاً في وجوههم حتى دفع جموعهم بها، ثم أعقبهم بالخيال والرجال، فقتل ولد مُطلق الجرباء اسمه سلطان، وانخرمت تلك البوادي، وعددهم كثير، فأخذ أموالهم وقتل من قتل وأسر من أسر، وجملة أموالهم لا تحصى عدا، فجلا مُطلق الجرباء إلى العراق من ذلك اليوم.

ب - في رمضان من سنة 1212هـ نازل الإمام سعود بن عبد العزيز عرباناً كثيرة من عدة قبائل بزعامة مُطلق بن محمد الجرباء في وادي الأبييض قُرب السماوة بالعراق وما كان أحد يقف أمام كرات مُطلق ذكر ذلك ابن بشر وابن سند وقتل قُرَيْبَيْسَ أَخُو مُطلق. وقال ابن سند - كما نقلت من أوراق الشيخ حمد الجاسر غزا سعود بن عبد العزيز بن محمد سعود في سنة 1212 أطراف بني المُنْتَفِق، فصَبَّحَ القرية المَعْرُوفَةَ بِأَمِّ الْعَبَّاسِ، فقتل منها ومن حولها خلقاً كثيراً ونهب وحرق، ثم كَرَّ راجعاً وحمود في البادية، فلمَّا بلغه الخبر جَدَّ، في السير ليدركه، كما أدركه، وبعدما كَرَّ سعود راجعاً ووصل إلى أطراف نجد، عطف وأغار في سنته تلك على بادية العراق، وكان مُطلق بن محمد الجرباء نازلاً في بادية العراق، فلمَّا صَبَّحَهُمْ سعود فَرَّ من فَرَّ منهم وثبت من ثبت، وقاتل جيش سعود مُطاق الجرباء، فكَرَّ الفرسان مرة بعد مرة، فكلَّمنا كَرَّ على كتيبة هزمها، فحاد عن مطاعنته الشجعان، فكان من الله تعالى الذي لا يُرَدُّ أَنَّهُ كَرَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ كَرَاتِهِ فَعَثَرَتْ فَرَسُهُ فِي شَاةٍ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ فَقَتَلَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وكان قتله عند سعود من أعظم الفتح إلا أَنَّهُ وَدَّ أَسْرَهُ دُونَ قَتْلِهِ.



ج - في سنة 1231هـ كانت الواقعة بين باشا العراق وبين عدة قبائل بزعامة بُنيَّة بن قُرَيْبِيس بن محمد الجرباء، ومعه فارس بن محمد، وكان الباشا قد أجلهم عن العراق. فَهَزِمَتْ هذه القبائل بعد قتل زعيمها بُنيَّة في حادثة مماثلة لحادثة قتل عمه مُطلق بن محمد، وذلك أنه لحقه فارسان فأحسَّ بهما أو أنهما دعواهُ للمبارزة، فجدب عنان جواده جَذبَةً منكرةً لِيَحْرِفَهَا عليهما، فوقعت الفرس على رأسها ويديها، وسقطت على ظهرها، فصار تحت السرج والفرس فوقه فأدرك وقتل ولعلَّ سبب هذا ما حدث سنة 1228هـ وهو أن أسعد بن سليمان باشا خاف من عبد الله باشا صاحب بغداد وهرب إلى المُنْتَفِق، فلما أباي حُمُود بن ثامر زعيم المُنْتَفِق وبعد القتال، انحازت شَمْرٌ للمُنْتَفِق، وخانت عبد الله باشا، فانحزمت العساكر العراقية. قال أبو عبد الرحمن: والعامَّة في نجد تنطق الجرباء هكذا " الجربا " بدون همزة، وذلك لثقل حرف الهمزة على نطق العامة قال ابن سَند: وفي السنة الحادية والثلاثين بعد المُنْتَفِق والألف من الهجرة، له (عدد ما أحاط به العلم، وتعلَّقت به من الممكّنات القدرة، قُتِل بُنيَّة بن قُرَيْبِيس الجرباء، وأُبي بِرَاسِهِ إلى الوَزيز سعيد. واعلم أن بُنيَّة عَبَر من الجزيرة لغربي الفرات، عندما ولى وزارة بغداد سعيد باشا، لما بين عمه فارس وآل عُبَيْد من الضغائن، لاسيما أميرهم قاسم بن محمد بن عبد الله بن شاوي العُبَيْدي، وقد كان سعيد باشا ولى زَمَامَ أكثر أموره له، فلما بين فارس والمذكور لم يستقر في الجزيرة فنزل بعشيرته على خُزَاعَة، في تلك السنة، ليكتال، وكان بين الدُرَيْعي العَنزِي الرُّوبلي - بضم الراء وفتح الواو ولام بعدها ياء النسب - اقتفى أثره ونزل قريباً منه، وأرسل إلى حمود بن ثامر، استنفر، فنفر بفرسان عشيرته لمُساعدة الدُرَيْعي، لما بينهما من الاتِّتلاف، وكذلك خرج عسكر الوَزيز سعيد، كبيرهم قاسم ابن شاوي، ومعه عُقيل - بضم العين وفتح القاف وسكون المُنْثاة التحتية - وهم عسكر للوَزيز، فقامت الحربُ على ساق وذاذ الفرسان، فَقدَّر الله عليه في بعض كَرَاتِهِ أَنْ أصابته بندقٌ فَحَزَّ من صهوة فرسه - رحمه الله وإيانا - وقد سمعته ينتسب إلى طيء القبيلة المَعروفة المَنسوب إليها حَاتِم بن عبد الله بن سعد الطائي وابنه عدي بن حاتم الطائي الصحابي الجليل وهذا نص أدبي، بأسلوب عاطفي انتسخته من أوراق شيخني حمد الجاسر نقلاً عن " مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود " لعثمان بن سند. قال ابن سند: " د " وفي سنة 1237هـ وقد كان أرسل والي كَرَمَانَ مقدار ألف من عسكره للميرة من تلك الأوطان، فلقبهم صُفُوق الجرباء، وقراهم طعنًا وضرباً، وسقاهم بدل العذاب عَذَاباً، وجَرَّعَهُم بالسيف مُرّاً وصاباً، فقتل منهم الكثير، والباقي بين منهزم وأسير. ثم قال بعد كلام طويل يتعلق بدادو باشا: أخبرني ثقاتٌ عدَّة أنَّ صُفُوق بن فارس الجرباء غزا ابن الشاه، وعبر دِيَالَةَ، بفوارس من عشيرته، إلى أن كان من عسكر ابن الشاه بمرآة، فركب فرسان العسكر لما رأوه وكَرَّوا عليه، فاستطردهم حتى عبروا دِيَالَةَ، وبعثوا عنها، فعطف هو ومن عشيرته ومن الروم عليهم، فأدبرت فرسان العجم، وقفاهم فوارس شمر، وقتلوا منهم من أدركوا، وأتوا بخيلهم وسلبيهم - والله الحمد والمُنة - وأخبرني غير واحد أن هذه غير الأولى التي ذكرها المُوَرِّخ التركي

أسر آل الجرباء

وبعض مشاهيرهم 4 - بيان أسرهم، والتنويه ببعض أعلامهم قال عبد الجبار الراوي:

قبل تفصيل القول في فروع كل قسم من هذه الأقسام، نسوق مقدمة عن الأسرة الشهيرة التي أُلقيت إليها مقاليد الرئاسة العليا في شَمَّر الجربة. إن الذين تزعموا هذه العشيرة هم " آل محمد "، وإذ تكاثروا حتى أصبحوا جماعة بل عشيرة كبيرة، لم نجد بدءاً من ذكر من ينتسب إلى هذا البيت منذ أول نشوئه حتى اليوم، منوهين بأشهر رؤسائهم في الماضي والحاضر: كان أول من رحل من نجد إلى الجزيرة في العراق هو فارس الجربة، فهو إذن الرئيس الأول لآل محمد شيوخ شَمَّر في الجزيرة. وقد خلف فارس جماعة سُميت باسم آل فارس، واشتهر من هؤلاء صفوق، واشتهر من اولاد صفوق فرحان باشا المشهور، وقد خلف فرحان باشا أولاداً كثيرين، انقسموا أربعة فروع كل فرع انتسب إلى أمه " أي إلى إحدى زوجات فرحان باشا " الأربع، وهذه الفروع هي: الدرّة والجرعة والسرحة والباشات.

### الفرع الأول - الدرّة

ويقدر هذا القسم مع مواليهم بخمس مئة بيت، وأشهرهم آل عبد العزيز، وآل فيصل، وآل شلال، وبرز من آل عبد العزيز فرأس عشائر شَمَّر كلها الشيخ " عقيل الياور بن عبد العزيز بن فرحان باشا " رحمه الله، ولا تزال الرئاسة في عقبه

الفرع الثاني - الجرعة ويقدر مع مواليهم بـ 500 بيت أيضاً، وأشهرهم العاصي، والجار الله، وآل مجول. وقد عاش العاصي " 120 " عاماً، وصار شيخاً لشَمَّر كلها ثم آلت المشيخة إلى ولده الهادي في عهده، وهو على قيد الحياة ثم قتل الهادي، وآلت المشيخة إلى دهام رئيس عشائر شَمَّر القاطنة في سورية الآن.

### الفرع الثالث - السرحة

ويقدر مع مواليهم بـ 100 بيت، وأشهر رؤسائهم مطلق وهامس وثويني وعبد المحسن وسلطان.

### الفرع الرابع - الباشات

وسموا باسم الباشات، لأنهم لم يفارقوا بيت فرحان باشا حتى وفاته، ويقدر مع مواليهم بـ " 50 " بيتاً، ومنازله الآن في الفرحانية قرب بلد " ناحية تابعة لقضاء سامراً في محافظة بغداد "، وأشهر رؤسائهم الحُمَيْدي الذي آلت مشيخة شَمَّر إليه في العهد العثماني، ويميز ويندر، وقد توفوا، وأحمد وزيد، وهما حيان يرزقان. وهناك غير هؤلاء ينتسبون إلى آل محمد، مثل: آل عمرو: ويقدر مع مواليهم بـ " 300 " بيت، أبرزهم زيد العمرو. آل زيدان: ويقدر مع مواليهم بـ " 300 " بيت أيضاً. آل فهد: ويقدر مع مواليهم بـ " 30 " بيتاً، وأشهرهم سظام الفهد، ولم تعهد إلى أحد منهم مشيخة شَمَّر.

### الشاعر ابن خطاب.

قال أبو عبد الرحمن: ومن آل الجرباء الذين لم يرحلوا إلى الجزيرة السعديون وآل سراح بالجوف، منهم آل سلمان من آل حبوب من آل سراح. ومن آل سراح الشاعر غالب بن خطاب، من شعره قوله يخاطب شريفة، خادم مضيفه: لآواهني من نط راس الفريده ... وشاف الطويل وشاف خشم الأضرع

أَخِيرَ عِنْدِي مِنْ مَقَابِلِ شَرِيدَةٍ ... مَنَاحِي النَّشَامَى عِنْدَ قَصْرِ ابْنِ زَرَّاعٍ  
ووالده هو الذي يعنيه عُبَيْدُ الرَّشِيدِ بقوله:  
يَا مَنْ يَبْشُرُ بِي خَلِيفٍ وَحَطَّابٍ ... تَبْشِيرِ فِرْعَوْنَ بِمُوسَى وَهَارُونَ  
ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات لحطّاب، وذكر أنه قالها وهو في سجن ابن رشيد:  
يَا مَوْفِقِينَ الْحَيَّرَ يَا أَهْلَ النَّجَائِبِ ... عَسَى السَّعْدُ فِي نَحْوَرِهِمْ حِينَ تَمَشُونَ  
مَعَ النَّقِيبِ ادْعُوا طَرِيقَ الرِّكَايِبِ ... وَالْعَصْرُ بَاكِرٌ بِاللَّقَائِبِ تَحْطُونَ  
تَلْقُونَ نَاصِرٌ مِثْلَ حُرِّ الْجَلَايِبِ ... مَا كَرَّ وَلَا عُمَرَ الْمَوَاكِرِ يَبُورُونَ  
تَلْقُونَ فَنَجَالَ مِنْ الْبُنِّ رَايِبٌ ... زَوْدٌ عَلَى اللَّيْلِ بِالْمَنَاسِفِ يَحْطُونَ  
لَوْ عَلَى مَنْ شَافَ هَاكَ الْحَوَايِبِ ... فِي سَاعَةٍ يَحْضُرُ بِهَا كَلٌّ مَلْعُونٌ  
ومن شعر غالب بن حطّاب قصيدة حدثني بها أبو محمد البازعي - رحمه الله - يقول فيها:  
يَا اللَّهُ يَا إِلَهِي فَوْقَنَا مَعْتَلِينَا ... حَنَّا وَمَنْ يَرْجَى ثَابِتَ خَدَانَا  
حَنَّا بَلِيًّا طَلَبْتِكَ مَا بَعَيْنَا ... حَتَّى آيَشَ لَوْجًا زَادَنَا مَا هَنَانَا

(1/25)

يَا الْبَيْضُ عَدَدَ الْمَلَايِمِ عَلَيْنَا ... عَدَنَ مَلَايِمَكَ وَدُوَكُنَ لِحَانَا  
حِطْنُ مَفَاتِيلِ الذَّهَبِ فِي يَدِي ... وَتَقْلَدُنْ بَسِيؤُنَا يَا نَسَانَا  
لَاعَادُ مِنْ رَمَلِ الْمَحَامِلِ نَشِينَا ... وَحَنَّا عَلَيْنَا حَرْدَهُنَّ وَشَ بَلَانَا  
مَنْ عَقَبَ مَا نَادَى الْقَبَائِلَ وَدِينَا ... الْيَوْمَ لَوْ يَأْتِي سَفِيهٌ وَدَانَا  
وَمَنْ عَقَبَ مَا نَاطَا الْقَبَائِلَ وَطِينَا ... الْيَوْمَ بِالرَّجْلَيْنِ كِلَ وَطَانَا  
وحدثني أبو محمد البازعي بهذه الأبيات لحطّاب:  
مَا طَعْتُ شَوْرِي يَوْمَ أَنَا بِالسَّقْفِيَّةِ ... أَنْتَ تَقُولُ: هُنَا وَإِنَا أَقُولُ هَانَا  
مَنْ عَقَبَ مَا حَنَّا زَهَاهَا وَرَيْفَهُ ... الْيَوْمَ نَتْنَى مَقْعَدَ فِي عَدَانَا  
يَا وَنَتْنَى وَنَتْنَى مُعِيدِ ضَعِيفَهُ ... عَلَى دِيَارِ خَابِرِينَهُ وَرَانَا  
لَوْ الْبِكَا يَفْرُجُ بِكِينَا " مُنِيفَةُ " ... الْحَوِطَةُ اللَّيْلِ شَرَّعُوا بِهِ عَدَانَا  
الْيَوْمَ تَمَّرَ " الْكَسْبِ " عِنْدِي طَرِيفَهُ ... مَنْ عَقَبَ مَا نَاكَلَ مُدَنِّبِ خَلَانَا  
أَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي مِنْهَا:  
تَفِّ عَلَى الدُّنْيَا لَوْ بِهِ طَرِينَا ... لِعَادُ فِيهَا عَنْ هَوَانَا نَحِينَا  
فقد نسبها ابن خميس مرة لحطّاب، ونسبها مرة لبرغش ابن زيد بن عريعر، ونسبها ابن سيحان لنمر  
بن عدوان. قال أبو عبد الرحمن: المحقق أنها لابن عريعر، وإنما يوجد على وزنها وقافيتها قصيدة  
لمرخان بن دابس - أبو ابن سمحان - المرخان من أهل الجوف يقول فيها:  
لَاعَادُ حِنًّا يَوْمَ دُورِكَ صَبْرَنَا ... وَشَ مَجْزَعِكَ مِنْ دُورِنَا يَوْمَ جَانَا  
عَرَّكَ زَمَانَ لِلدَّرِيْعِي غَتْرَنَا ... بِالْبُوقِ وَالْأُ بِالْتَقَا مَا وَلَانَا  
حِنَا لِيَا ثَارَ الدَّخْنِ وَأَنْتَشْرِنَا ... بِالْقَنْبِ الْمَصِيصِ نَمَقْسُ دَلَانَا

من دُونَ غَرَسٍ مَا بَطَّلَعَهُ تَجَرْنَا ... ولا قِيلَ: صَكَ الْبَابَ عَمَّنْ نَصَانَا  
يا ابو طواري لا تُبَيِّحْ حَبْرَنَا ... عَيْبٌ لِعَاكَ، وَعَيْبٌ حِنَّا لَعَانَا  
حِنَّا لِعَوْرَاتِكَ وَوَمَلَّكَ سَتْرَنَا ... وَعَيْتٌ عَلَيَّ الشَّيْمَةَ سَوَاعِدَ حَانَا  
ومن شعر غالب بن سراح قوله يرد بها على عبيد العلي الرشيد:  
إِنْ جِئْنَا يَا عَبِيدُ نَفْتَحُ لَكَ الْبَابَ ... حِنَّا نَقِيفُ وَفِي رَيْعِكَ يَخْشُونَ  
الجوف تلقى به خليفٍ وحطابٌ ... ما هم فريق ضعوف عنكم يهْجُونَ  
يا عبيدُ مَا قَصْدُكَ زَكَاةٌ وَنَوَّابٌ ... هَذَا بِغَاضِي مَيْرٍ يَا عَبِيدُ تَكْمُونَ  
يا عبيد يوم اَنَّكَ رَفِيقٌ لِحَطَّابٌ ... وَالذَّبْسُ عِنْدَ حَسِينٍ يَغْرِفُ بِمَاعُونَ  
**مطلق بن محمد الجربا**

من أبرز أعلامهم في الجزيرة وسوريا مطلق بن محمد بن سالم الجرباء، الذي تزعم من هاجر معه إلى العراق من الشمرين يصحبه أخوه فارس بعد أن قتل أخوه قرينيس بن محمد وابنه مسلط بن مطلق. قال ابن سند بأسلوبه العاطفي نحو هذا البيت الشريف: هذا ومطلق من كرام العرب، عريق النجار شريف النسب، من الشجعان الفرسان، الذين لا يمتري بشجاعتهم إنسان، له مواقف يشهد له فيها السنان والقاضب، ووقائع اعترف له بالبسالة فيها العدو والصاحب، وأما كرمه فهو البحر حدث عنه ولا حرج، وأما أخلاقه فألطف من الشمول وأذكى من الخزامى من الأرج، وأما بيته فكعبة المحتاجين وركن الملتجئين، جمع البسالة والكرم في ردائه، بحيث نادى ألسنة نظرائه: إنه العلم الفرد، والشمرى الذي لا يوقف لكرمه على حد، ولقد والله أعجز من بعده من سراة البادية، بمكارم لا توصف إلا بأنها ظاهرة بادية:

يَا بَحْرُ لَا تَفْخَرْ بِمَدِّكَ وَأَقْصِرْ ... عَن أَنْ تُضَارَعَ حَاتِمِيَا شَمْرِي  
مَا حَلَّ فِي كَفِّيهِ مَقْسُومٌ عَلَيَّ ... كَلَّ الْأَنَامُ غَنِيَهُمُ وَالْمَقْتَرُ  
مَا تَمَّ مَائِرَةٌ سَمَتْ إِلَّا رَوَى ... مَرْفُوعَهَا عَنْهُ لِسَانُ الْأَعْصُرِ  
فَفِنَاؤُهُ مَاوَى طَرِيدٍ خَائِفٍ ... وَجَبَاؤُهُ مَعْنَى مَسِيفٍ مُعْسِرِ

(1/26)

وقال عن هجرته: ثم دعت الهمة العربية إلى ارتقاء المناصب العلية، فسار من العراق إلى الشام، وتوجه مع أحمد الجزار إلى البيت الحرام، ثم لما قضى نسكه رجع إلى العراق من مكة محارباً بالبنان والسنان، ألتك المبتدعة لا باللسان، فبقي في بادية العراق مطاعاً أمره، مشاعاً في الأغوار والأنجاد ذكره، لا يضرب مثل إلا بشجاعته وكرمه، ولا يلوذ طريد إلا بساحة حرمه، ولا تستمأح إلا راحته، ولا تُقبَلُ إلا يمينه، إلى أن أصابه سهم الحمام ودرج شهيداً إلى دار السلام. ثم نظم ابن سند هذه القصيدة في مدح مُطلق:

بَكَتْهُ الْعَوَالِي وَالرِّقَاقُ الصَّفَائِحُ ... لَدُنْ غَابَ مِنْهُ فِي الضَّرِيحِ الصَّفَائِحُ  
بكى أجا بما شجأه وماسلٌ ... وَضَجَّتْ ضَجِيحاً بِالنَّوَّاحِ الصَّحَائِحُ  
لِرُزْءِ أَمْرِي صَلَّتْ جُرَازٍ صَلَّنَفْحُ ... صَبُورٍ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْفَوَادِحُ

صَفْوَحٌ سَمُوْحٌ مُطَلِّقُ الْكَفِّ بِالنَّدَى ... كَأَنَّ يَدَيْهِ لِلْهَبَاتِ الْمَفَاتِحِ  
أَشْمُ عِصَامِيٍّ مِنَ النَّفْرِ الْأَلَى ... فَخَارُهُمْ كَالشَّمْسِ أَبْيَضُ وَاضِحٌ  
سَيُوفٌ، صِنَادِيدٌ، عِظَامٌ، أَمَائِلٌ ... ثَمَالٌ لَمَعَتَرَ غُبُوثٌ مَسَامِحُ  
لَا غَزْرَهُمْ مَدًّا وَأَشْهَرَهُمْ عَلِيًّا ... وَأَكْبَرَهُمْ قَدْرًا أُتِيحَ الطَّوَانِحُ  
فَأُودِعَ فِي بَطْنِ الثَّرَى مِنْهُ بَاسِلٌ ... عَزِيْزٌ لَدَيْهِ مَشْرِفِيٌّ وَسَابِحُ  
فَمَا أَعْمَضَ الْعَيْنَيْنِ يَوْمًا عَلَيَّ قَدَى ... وَلَا رَامَ إِلَّا مَا تَرَوْهُ الصَّفَائِحُ  
فَتَى كَانَ حَوَاصًا لِكُلِّ كَتِيْبَةٍ إِذَا لَمْ يَخْضُ إِلَّا الْهُزْبُ الصَّمَادِحُ  
أُتِيحَ لَهُ سَهْمٌ فَأَسْكَنَهُ الثَّرَى ... فَهِيَ كُلُّ فُطْرٍ فِيهِ نَاعٌ وَنَائِحُ  
فَكَادَتْ بِهِ سَلْمَى تَهْدُ، وَأَوْحَشَتْ ... مَرَاتِعٌ فِي أَكْنَافِهَا وَمَسَارِحُ  
أَمُطَلِقُ مَا لِلْبَدْوِ بَعْدَكَ بِهَجَّةٍ ... فَهِيَ هُوَ مِنْ فُرْطِ الْكِابَةِ كَالِحُ  
وَهَا هُوَ لَا قَطْرَ يُرَادُ، وَلَا خِبَاءٌ ... يُشَادُ، وَلَا خَالَ مِنَ الْجُودِ سَافِحُ  
وَلَا شَيْدٌ مِنْ فَوْقِ الْمِضَابِ قِبَابُهُ ... وَلَا شَمُّ أَرْوَاحِ النَّدَى مِنْهُ رَائِحُ  
لَدُنَّ مَتَّ قَالَ الْجُودُ: هَا أَنَا مَيْتِيْمُوتِ امْرِيٍّ يَبْكِيهِ غَادٍ وَرَائِحُ  
فَمَا أُسْرِحَتْ لَوْلَاكَ خَيْلٌ لِعَارَةٍ ... وَلَا عَشِيقَ الْأَشْعَارِ لَوْلَاكَ مَادِحُ  
وَلَا تَبِعَ الْأَطْعَانَ مِثْلَكَ سَيِّدًا ... تَمْتَهُ إِلَى الْعَلِيَّا الْكِرَامِ الْحَاجِحِ  
وَمَا سَرَّ عَيْشٌ بَعْدَ فَقْدِكَ وَاحِدًا ... تَأْتَفُّهُ لَوْلَا نَدَاكَ الْجَوَائِحُ  
فَلَا قَلْبٌ إِلَّا فِيكَ مُشْتَعَلٌ أَسَى ... وَلَا طَرْفٌ إِلَّا فِيهِ جَارٌ وَسَافِحُ  
نَمَّاكَ إِلَى الْغُرِّ الْأَكَارِمِ طَيِّ ... ضَحُوكُ الْمَحَبِّ هَامِرُ الْكَفِّ مَانِحُ  
غَيْوُزٌ عَلَى الْجَارَاتِ لَا مَتَطَّلِعُ ... عَلَيْهَا وَلَا لِلْسَّرِّ مِنْهِنَّ فَاصِحُ  
فَمِنْكُمْ وَفِي أَوْصَافِكُمْ يُرْتَجَى النَّدَى النُّعِيمُ وَيُسْتَحْلَى الرَّثَا وَالْمُدَائِحُ  
إِذَا مَا أَجْرْتُمْ بِالسُّيُوفِ مُطْرَدًا ... تَجَنَّبُهُ جَمًّا تَخَافُ الْجَوَارِحُ  
وَأَصْبَحَ فِي ظِلِّ مِنَ الْأَمْنِ وَارِفٍ ... يُرَاعِيهِ سَيَافٌ وَرَامٌ وَرَامِحُ  
كَأَنَّكُمْ لِلْمُعْتَمِنِينَ غَمَائِمٌ ... تَطْلُ وَهِنَّ الْعَادِيَاتُ الرَّوَانِحُ  
فَمَا زَالَتْ الْأَعْرَابُ تَرْجُو حُوقَكُمْ ... وَمَا كَرِيَّاحُ فِي النَّسِيمِ الْمَرَاوِحُ  
وَأَيْنَ مِنَ الْهَامَاتِ فِي الْفَضْلِ أَرْجُلٌ؟ وَأَيْنَ مِنَ الْأَدْلَى الْغُيُومُ الدَّوَالِحُ؟

(1/27)

فَلَوْلَاكُمْ لَمْ يُطْرَبِ الْبَدْوُ وَالْفَلَاوَلَا طَرِبَتْ لِلْغَزْوِ كُتْمَتْ قَوَارِحُ  
سَقَى جَدًّا أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ الرِّضَا ... سَحَابٌ مِلْتُ مُرْجِحُنُ وَدَالِحُ  
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ مِنْ يَوْمٍ فَنَؤُهُ ... وَيَعْشَاهُ فِي الْجَلَّى طَرِيدٌ وَمَادِحُ

قال أبو عبد الرحمن: قتل في حياة مطلق أخوه قرينيس عام 1212 وابنه مسلط عام 1205.

بُنَيَّةُ بن قرينيس الجرباء

قال أبو عبد الرحمن: لا أدري متى توفي مطلق، وقد تولى الرعامة بعده أخوه فارس، وقد كبر وكان

شيخ " الشداد " وقائد المَعارك في عهد فارس ابن أخيه بُنَيَّة بن قرينيس ابن محمد. قال ابن سند:  
 وَبُنَيَّة - بضم الموحدة وفتح النون وتشديد المثناة التحتية وهاء تأنيث - من فرسان العرب  
 وكرماتهم، وكانت له كَعَمِه فارس أيام الوَزيز علي باشا أجهة عظيمة وصدارة وَبُنَيَّة هاذا يكاد يضاهي  
 بالبسالة فارس النعامه، ومحطم ابن الأرقم ذا الغزاة، وأما الكرم فهو الغيث بل البحر الخضم وأما  
 منع الجار بكل رسوب بتار، فهو منه في الذروة، والناس إنما يحذون فيه حذوه، وأما غض طرفه عن  
 جاراته، فأمر لا يُطمع فيه بمباراته. وأما النسب فهو من بيوتات العرب.  
 تَنَمِيهِ لِلشَّرَفِ العَالِي بنُو ثَعَالَسُد الشَّرَى وَسِرَاهُ القَادَةِ الأَوَّلِ  
 التَّارِلُونَ مِنَ البِيدَاءِ فَوْقَ رَبِّوَالشَّائِدُونَ بِيُوتِ العِزِّ بِالأَسَلِ  
 التَّاحِرُو جُزُرَ الأَضْيَافِ نَحْرُهُمُاسُدُ العَرِينِ، بِمَا سَلَوَا مِنَ النُّصُلِ  
 وَالْمَانِعُو الجَارِ بِالأَسْيَافِ لِامِعَّةَ بَيْنَ الحَمِيسِينَ والعَسَالَةِ الدُّبْلِ  
 وقال ابن سند: ولما لبنيَّة من المكارم والشجاعة وارتفاع الصيت وللمودة بيني وبينه رثيته ارتجالاً ثم  
 ذكر هذه القصيدة:

قَصَى فَلدَمَعِي فِي الخُدُودِ سُفُوحٌ ... هَزَبْتُ عَلَيْهِ المَشْرِفِي يَنُوحُ  
 أَعْرُ كَرِيمِ النَّسَبَتَيْنِ مِنَ الأُلَى ... فَخَارُهُمُ كَالنَّبْرِينِ يَلُوحُ  
 عَلَى مِثْلِهِمُ يَبْكِي غَرِيبٌ تَطَوَّحَتْ ... بِهِ نُوبٌ مُسَوَّدَةٌ وَبُرُوحُ  
 وَسَارَ بِمَوَامَةٍ مِنَ الرِّادِ مُقْفَرٌ ... هَدَاهُ إِلَيْهِمُ أَنْوَرُ وَسُرُوحُ  
 وَتَبَكَّيَهُمُ الحَرْبُ العَوَانُ وَقَارِحُ ... أَقْبُ كَسِرْحَانَ الفَلَاةِ سَمُوحُ  
 كَأَنَّهُمُ لِلْفَضْلِ فِي النَّاسِ أَعِينٌ ... وَلِلْمَجْدِ قَلْبٌ وَالْمَكَارِمِ رُوحُ  
 هُمُ المَوْقِدُونَ النَّارَ فِي البَدْوِ، لِلقَرَبُولِ النَّجْمِ فِي لَيْلِ الشِّتَاءِ جُنُوحُ  
 وَأَبْيَضَ مِنْهُمْ شَمْرِيٌّ بِكَيْتِهِ ... نَمَاهُ إِلَى الأَصْلِ الأَصِيلِ سَمُوحُ  
 وَأَرْوَعُ أَمَا جَدُّهُ فَهُوَ حَاتِمٌ ... وَسَعْدٌ وَأَمَا مَدُّهُ فِسْفُوحُ  
 كَأَنَّ التَّدَى الطَّبَعِيَّ قَارَنَ رُوحَهُلْدُنَ قَرَّ فِي الفُلْكِ المَكْرَمِ نُوحُ  
 فَيَا جُودَهُمُ إِنْ تَبَكَّيَهُمُ تَبَكِّ سَادَةٌ ... بِنَشْرِهِمُ بَرْدُ الفَخَارِ يَفُوحُ  
 وَتَبَكِّ الأُلَى كَانَتْ بِدُوبِ نَجِيْعِهِمْ ... تُدَاوِي قُرُوحَ أَعْصَلَتْ وَجُرُوحُ  
 فَوَارِسَ وَصَالِينَ بِالحَطُوبِ بِيَضِّهِمْ ... وَلِلأَسَدِ مِنَ لَمَعِ السِّيَوفِ دُنُوحُ  
 بِكَيْتِ وَوَأَصَلْتُ البُكَاءِ سَمِيدَعَاً ... بِهِ كُنْتُ أَرْيَابَ الشِّقَاقِ أَكُوحُ  
 بُنَيَّةً وَالقَرَمَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ ... نَحْبٌ لِذِمَامِ الحُرُوبِ مَرُوحُ  
 مَكْرٌ دِمَاءِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهَا ... غَبُوقٌ لَهُ فِي كَرِهِ وَصَبُوحُ  
 فَقَدْتُ بِهِ البَدْرَ الَّذِي غَاصَ مُدْقَضَى ... بِحُورٍ لَهَا مِنَ رَاحَتِيهِ سُفُوحُ  
 فَنَحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ كَأَنَّهَا ... سَحَابٌ، وَمَفْجُوعُ الكِرَامِ يَنُوحُ

وما أنا بالفاضي لهُ بَعْضٌ وَدُهْوَانٌ دُمْتُ مَا نَاحَ الحَمَامُ أَنْوُحُ  
 وذكر أنه قتل سنة 1231هـ وأُتِيَ برأسه إلى الوُزير سعيد. وذكر المَارك أن الأشمل هو بُنَيَّةُ الجرباء  
 شقيق مطلق الجرباء وقد ذكر المَارك هذا تعليقاً على قول الهرييد: وذكر لي الشيخ منديل الفهيد أن  
 الذي قتل بُنَيَّةَ الرُّولة في مِجْرَادِ عَنزَةَ على الجربان أخذاً بالنار من سلبة حصّة المشهورة. وهي حصّة  
 بنت الحُميدي بن هذال. ذلك أن بنيه لَمَّا عَلِمَ بِقدوم الرولة أرسل يطلب النجدة من آل سعدون،  
 رغم أن بينه وبين آل سعدون ثارات، فواعده يخرج للمفاوضة معهم، فخرج آمناً ليس معه غير  
 أربعين فغدروا به. قال أبو عبد الرحمن: ثم وجدت في كراسات منديل ما ملخصه: " حصلت معركة  
 بين بُنَيَّةَ الجرباء من شيوخ شمر المَعروفين والأتراك، بقيادة ناصر الأشقر السعدون أيام الحروب  
 السابقة، قيل: إن بُنَيَّةَ لَمْ يَكُنْ معه أحد من قومه أثناء المَعركة فَعثرت جواده فيه فقتل، وقيل: إنه بُتِرَ  
 رأسه من جثته، فأحضر في مجلس ابن سعدون، فوضع بمكان مرتفع وعلى مقربة من النار، بقصد بَطْرِ  
 الاستيلاء أو التعجب من شجاعته، وكان يوجد رجلاً شمريّ جارّاً لِقوم السعدون، لا أعرف اسمه، إلا  
 أنه فِدَاغِيٌّ من سنجارة، فَلَمَّا شاهد رأس بُنَيَّةَ الجرباء، عرف ملامح وجهه، فتأثر فقام وجلس بالقرب  
 منه، وبدأ يمشط شواربه بيده أو عصاه ويقول: ما يستاهل صاحب هذا الوُجْه ذُو الهيبة والجاه  
 العظيم. ثم قال أبيات شعر يمتدح بُنَيَّةَ ويغمز فيها ابن سعدون وانصرف إلى بيته. وبعد ذلك قال  
 بعض الحاضرين بالمجلس لابن سعدون: هل سمعت كلام الشمري؟ قال: لا فبعث إليه من يحضره،  
 وعندما وصل الرسول هناك سئل عنه فقيل: نائم بالرِّقَّة، وبعد اقترابه منه لإيقاظه وجده ميتاً،  
 وللأسف الشديد لَمْ أَعثر على الأبيات التي قالها قبل مغادرته المجلس، بالرغم من بحثي عنها وسؤال  
 الكثير من الرواة، وهذه أبيات من قصيدة قالتها عَبْطاء رثاء لوالدها بُنَيَّةَ بعد أن قتل في هذه المَعركة  
 تقول فيها:

حَمَّعَ خِبَالَهُ ثُمَّ لَمَّهُ وَشَالَه ... وَتَقَنَطَرْتُ مِنْ كَثْرِ الإِقْفَا وَالإِقْبَالِ  
 عَزَّاتِ يَا ذِيبَ السَّبَايَا جِفَالَهُ ... يَا نَعَمَ وَاللَّهِ يَا هَهِلَ الخَيْلِ خَيْالِ  
 يَا مَا عَطَا مِنْ كَلِّ قُبَا سَلَالَهُ ... سَبَاقَةَ الغَارَةِ مِنَ الخَيْلِ مِشْوَالِ  
 يَا مَا شَرِبْتُو مِنْ حَلَاوِي دِلَالَهُ ... وَقَفْتَ القِسا يَرِخْصَ لَكُمْ غَالِي المَالِ  
 يَا مَا نَحَى بِالسَّيْفِ مِنْ صَعْبِ قَالَهُ ... وَيَا مَا لَطَمَ مِنْ دُونَكُمْ كَلِّ مَنْ عَالِ  
 مُحَمَّدَ زَرْقٍ رَمِحَهُ، وَلَا اخْدِ نَتِي لَهُ ... مَا حَصَلَ عِنْدَهُ عَرِكَةٌ تَسْمُحُ البَالِ

\*\*\*

والأشمل اللَّيِّ من مَنَاهِ التَّرَايدِ ... ومُطلق مطبق بِالْعَدِيرِ الزَّلَالِ  
 قال أبو عبد الرحمن: إنما هو بُنَيَّةُ بن قُرَيْنِيسَ، ومُطلق عمه. وبنَيَّةُ بن قُرَيْنِيسَ الجرباء هو الذي أمر  
 بغسل جواد الوُضَيْحِي ثلاث مرات بالصابون، لأنَّ بَصْرِيّاً الوُضَيْحِي فر عليها هارباً في حرب للجرباء  
 مع الرولة. وبمناسبة قتل بُنَيَّةَ قال شاعر من الصديدي من شمر، يفخر بقتل بُنَيَّةَ، ويشير إلى اعتداء آل  
 الجرباء على الصديدي:

سرنا من " الشَّمْبِلِ " إلى قصر " شَالَلِ " ... شهرين، والثالث ذبحنا بُنَيَّةَ  
 أُوَيْهَ وَاللَّهِ يَا هَهِلَ الخَيْلِ خَيْالِ ... وَعَزِيَّ لَعْبَهُ عِزْوَةَ الشَّمْرِيَّةِ  
 هذا جزا اللَّيِّ بَاعْنَا بَابِنَ هَذَا ... جَبْنَا دَمَاعَهُ لِلبِوَاشِي هَدِيَّةِ

وهذا شاعر من البرقع من شمر يسكن في عقدة هو وجماعته تحت رحمة أميرها ابن فوزان الدوسري

فيقول:

اللبي بئى " عَقْدَة " ولذة نماها ... يصبر ولو أنه مع الجنب مطعون  
ومن لا بئى " عَقْدَة " يفارق جباها ... ينحر " بُنْيَة " مع جموع يعنُون  
يعني بُنْيَة بن قرييس.

صفوق بن فارس الجرباء

(1/29)

أما عمه فارس فقد توفي سنة 1233هـ فتولى الزعامة بعد ابنه صفوق بن فارس بن محمد بن سالم.  
قال ابن سند: وصفوق هذا - بفتح الصاد المهملة والفاء بعدها واو ساكنة وقاف - وهو في  
الأصل الممتنع من الجبال، واللينة من القسي، والصخرة الملساء المرتفعة جمعه صُفُق ككتب،  
فسمى به هذا الكريم، والحاقمي الذي أثرى بناثله العديم، وأيم الله إنه لعديم النظير، في كرمه الذي عنه  
لسان النعت قصير، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو آباءه، وآباؤه ما منهم إلا من يضرب المثل  
بسختائه:

هُمُ الْأَكَارِمُ فَاسْأَلْ عَنْهُمْ فَهَمَمَنْ يُسْأَلُونَ إِذَا مَا اشْتَدَّتِ الْإِرْمُ  
مَنْ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ضَيْفًا رَأَى بِهِمْ ... أَسَدًا إِذَا صَدَمُوا سُحْبًا إِذَا كَرُمُوا  
مَا صَامَ جَارُهُمْ دَهْرٌ وَلَا خَذَلُوا ... مَوْئِي، وَلَا وَجُمُوا طَبْعًا وَلَا وَجُمُوا  
مَا شَامَ نَارَ قَرَى سَارٍ فَيَمَمَهَا ... إِلَّا وَرَافِعَهَا حَتَّى تُشَامَ هُمْ  
لَوْ رَامَ ضَيْفُهُمْ أَرْوَاحَهُمْ سَمَّحُوا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الْأَرْوَاحِ ضَيْفُهُمْ  
مَا سَادَ سَائِدُهُمْ إِلَّا بِمُصَلَّتَةٍ ... خِضَابُهَا عَلِقَ مِمَّنْ بَعَى وَدَمٌ  
وَحَقَّهُمْ مَا أَضَاءَتْ نَارُ عَادِيَةٍ ... إِلَّا وَمُوقِدَهَا أَسْبَافُهُمْ بِهِمْ  
مَا فَاحَرَ الْعُرْبُ إِلَّا فَاقَ نَاشِيَهُمْ ... بِكُلِّ فَضْلِ بِهِ فَاقَتْ كُهُوَّهُمْ  
مُؤَلَّفُونَ بِمَا آبَاؤُهُمْ أَلْفُوا ... قَبْلَ الْفَطَامِ النَّدى يَهْوَى وَلَيْدُهُمْ  
كَأَنَّهُمْ لِقَرَى الْأَضْيَافِ قَدْ خُلِقُوا وَلِلطَّعَانِ لِأَسَدِ الْعَابِ تَصْطَدِمُ  
مُخَدَّمُونَ وَلَكِنْ فِي مَجَالِسِهِمْ ... لِكُلِّ ضَيْفٍ بَتَعَجِيلِ الْفَرَى خَدَمٌ  
لَوْلَاهُمْ مَارَها بَدُوٌ وَرَابِيَةٌ وَلَا زَهَا " أَجَأٌ " وَ " النَّيِّرُ " وَ " الْعَلَمُ "   
وَلَا طَعَانِينَ فِي الْبَيْدَاءِ عَوَدَهَا ... طَعَنَ الْفَوَارِسَ عَنْهَا صَيْرِمُ رَزْمٌ  
إِذَا انْتَمَى فِإِلَى الْأَجْوَادِ مِنْ تُعَلِّ ... وَالْبَادِلِينَ إِذَا مَا صَنَّ غَيْرَهُمْ  
وَالْحَامِلِينَ مِنَ الْخَطِيئِ أَطْوَهْكَى يُعَلِّمُ الْأَسَدَ أَنَّ الرَّاحِمِينَ هُمْ  
وَالنَّازِلِينَ بِتَجْدِ كُلِّ رَابِيَةٍ ... عَنْهَا تَقَاصَرَتِ الْحِرَانُ وَالْأَكْمُ  
لَمْ يَرْكَبُوا الْعَبْرَ فِي بَدُوٍ وَلَا خَضِرَ لَكِنْ شَيَاطِمِ، مِنْهَا الْكَمْتُ وَاللُّدْهُمُ  
شَمُّ أَبَاةٍ فَمَا أَدْوَأَ إِلَى مَلِكٍ ... إِنَاوَةٌ أَوْ عَرَا جَارَاتِهِمْ ظَلَمٌ  
لَا يَشْتَكِي جَارُهُمْ مِنْهُمْ سِوَى كَرَمَلَوْ بُثَّ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُوجَدْ بِهَا لُؤْمٌ  
هُمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْكُؤْمِ الْبَهَارِزَ مَا ... لَوْ كَانَ فِي إِرْمٍ مَا مَسَّهَا قَرْمٌ



لَوْ كَانَ النَّاسُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَعَدُوا: ... مِنَ الْكَرِيمِ؟ لِأَوْ مَا نَحْوَهُ الْكَرِيمُ  
لَمْ أَدْر " مُطْلَقُهُمْ " أُنْدَى وَأَكْرَمَ أَمَابُوهُ، أَم " فَارِس " أَم " ذَا " صَفُوْقُهُمْ "   
لَكِنْ سَأَلْتُ التَّدَى عَنْهُمْ فَقَالَ: أَلَا ... كُلُّ كَرِيمٍ، وَأَسْحَاهُمْ أَحْيَرُهُمْ  
يَكَادُ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ يَبْدُلُ مَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ التَّدَى وَجَمَّ  
أَعْطَى صَبِيًّا فَفَاقَ الْجُودَ مِنْ " هَرَم " ... وَهَلْ يُضَارِعُ شَبًّا نَائِلًا هَرَمُ  
سَلَّ عَنْ فَوَاضِلِهِ أَعْدَاءَهُ فَهَمُّ ... مِنْ عَدَا مَا أَتَيْتُوا مِنْ نَزْرَهَا سَمُّوا  
يَا " شَمْرِيًّا " رَأَيْنَا مِنْ مَوَاهِبِهِ ... مَا لَيْسَ يَحْضُرُهُ طَرَسٌ وَلَا قَلَمٌ  
إِنِّي مَدَحْتُ لِسَمْعِي عِنْدَكَ مَا قَصَرْتُ ... عَنْ أَنْ تُجَارِيَهُ فِي سَجِّهِ اللَّيْمِ  
سَيَّرْتُ فِيكَ بِأَفْكَارِي قَوَائِي لَا ... تَنْفَكُ تُضْرَبُ أَمْثَالًا فَتَنْسَجُمُ

(1/30)

وَلَمْ أَرِدْ بِمَدِيحِي فِيكَ جَائِزَةً ... وَإِنْ تَكُنْ ثَرِيثٌ مِنْ سَبِيكِ الْأُمَمِ  
لِكِنِّي رَجُلٌ أَهْوَى الْكِرَامَ وَمَنْ ... كَانُوا خَيْرَ وَزِيرٍ فِي الْوَرَى خَدَمُوا  
إِذْ كُنْتُ أَفْرَعْتَ وَسَعَا فِي نَصِيحَتِهِ ... وَكُنْتُ قَاضِيَهُ لَمَّا بَعَى الْعَجْمُ  
حَارَبَتَهُمْ مُخْلِصًا فِي حُبِّ مُنْتَصِرٍ ... لَوْلَاهُ " دَاوُد " قُلْتُ الْمَرْءَ " مُعْتَصِم "   
نَصْرَتُهُ بِنِي عَمِّ صَرَاعِمَةٍ ... بَاعُوا عَلَيَّ كُلَّ خَطَارِ نَفْسِهِمْ  
فَصَبَّحُوا عَجَمًا قَدْ خَالَفُوا وَبَعُوا ... بِمَرْهَقَاتِ نُخَالِ الشَّهْبِ فَوْقَهُمْ  
هُمْ صَبَّحُوهُمْ وَلَكِنْ أَنْتَ قَائِدُهُمْ لَوْلَاكَ مَا كَسَرُوا هَامًا وَلَا جَزَمُوا  
إِذْ سَاوَرُوهُمْ عَلَيَّ جُرْدَ مُطَهَّمَةٍ ... لَوْ لَمْ يَكُونُوا جَبَالًا حَلَقَتْ بِهِمْ  
شَمُّ الْعَرَانِينَ مَا لَأَنْتَ شَكَائِيهِمْ ... إِنْ لَأَنْ مِنْ غَيْرِهِمْ فِي حَادِثِ شُكْمِ  
سَلُّوا السُّيُوفَ عَلَيَّ سُودَ الْوُجُوهِ فَمُدُّشَامُوا بَوَارِقَهَا نَجَابَتْ بِهَا الظُّلْمُ  
رَوَافِضُ حَسَبُوا فَجَزَّ الْهُدَى سَحَمَا وَلَيْسَ مِثْلَ الْبَيَاضِ السَّاطِعِ السَّحْمِ  
رَامُوا مُعَادَاةً مَنْ ظَلَّتْ بَوَادِرُهُ ... بِالْمَرْهَقَاتِ مِنَ الْبَاغِينَ تَنْتَقِمُ  
وَمُدُّ أَدَاقِهِمْ الْخَطِيئُ مُرْتَعِشًا ... وَالْمَشْرِفِيُّ بِهِ الْمَسْتَأْسِدُ الشُّكْمِ  
رَدُّوا خَزَايَا عَلَيَّ الْأَعْقَابِ تَحْصِبُهُمْ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ أَبْطَالُ الْوَعَا الْقَدَمِ  
وَالدَّرَاعُونَ وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ فَكَمْ ... كَرُّوا وَمَا أَدْرَعُوا إِلَّا قُلُوبَهُمْ  
فَكُنْتُ أَجْرَاهُمْ مُهْرًا إِلَى رَهَجٍ ... وَالْبَيْضُ تَنْثُرُ وَالْمُرَانُ يَنْتَظِمُ  
قَدْ سَاعَدْتِكَ أَسُودٌ قَالَ قَائِلُهُمْ: ... سَلُّوا الطَّيِّ وَجَبِلَ اللَّهُ فَاعْتَصِمُوا  
فَعَرَدَ الْعَجْمُ أَمْثَالَ الرِّئَالِ وَهَلْ ... يُصَادِمُ الْعَرَبَ فِي كَرَّاتِهَا الْعَجْمُ؟  
لِلَّهِ عَرَبٌ أَطَاعُوا أَمْرَ مُنْصَلِتٍ ... وَهَيْرِزِيِّ لَهُ مِنْ بُمْرِهِ أَجْمُ  
لَوْلَاهُ غَشَى السَّوَادَ الرَّفِضَ مِنْ عَجْمِ " سُودَ الْوُجُوهِ إِذَا لَمْ يَظْلَمُوا ظَلَمُوا " لَكِنَّهُ ذَادَهُمْ عَنْهُ  
بِمَنْصَلِتِمْ فَاسَلَمُوا الْعِزَّ لَمَّا سَلَّ وَانْهَزَمُوا  
فَخَرًّا " صَفُوقِ " لِأَنَّ نَاصِرَتِمْ مَنْتَصِرًا ... بِهِ الْأَمْثَالُ فِي أَيَّامِهِ خَتَمُوا

هذا ولما نصر صفوق هذا الوزير المقدم، والخليفة الذي سياسته التي لا توجد في معاصريه تعظم، أقطعها " عانة " وما يتبعها من القرى، وهذا عطاء لم أره من غيره لمثل صفوق جرى. وأما الوزير فله من الكرم قضايا، قاضية له بأنه " ابن جلا وطلاع الثنايا "، ولما مع صفوق فعل، خدمه صفوق فعظم وجل، فعادى أعداءه، ووالى أوليائه، وصار له رقيق الأيادي، محسوداً بذلك في الحاضر والبادي، وكان الوزير المحجج نظر فيما فعل إلى قول المهلب: عجبت ممن يشتري العبيد بماله، ولا يسترق الأحرار بنواله. وكان صفوقاً إنما صير نفسه رقيقاً لقول من قال في هذا المجال: ليس من اشتراك مولاك، إنما مولاك من أعلاك وأولاك. وسأذكر من مواهب الوزير، لصفوق ما نزره عنه لسان الشكر قصير. وأما كرم صفوق فمما سارت به الأمثال، وأقرت به الأضداد والأمثال، حتى ذكر لي من حضر طعامه، أنه يفوق ابن سنان وابن مامة. قال أبو عبد الرحمن: صفوق مضرب المثل في الكرم عند العامة وإذا أرادوا أن يردوا ادعاء مدعي السخاء قالوا: " والله لوك صفوق ". أي: والله لا تبلغ هذا الوصف إلا لو كنت صفوقاً ولوك اصلها: لو أنك. قال أبو عبد الرحمن: قتل صفوق غدرًا بيد أحد ولاة الأتراك عام 1840 أو 1841م. وقد زوجه أبوة من عمشاء بنت شيخ طيء عام 1225هـ. وله زوجتان أخريان هما سلمى بنت عمه مطلق بن محمد وعبطا بنت ابن عمه بنية بن قرييس بن محمد. وهاتان البنتان تافرتا واحتكمتا إلى علي بن سريجان، ليفاضل بين أبييهن فقال قصيدة مطلعها:

(1/31)

يا بنت فارق بين الاثنين كذا بقبلي تعايوا به شيوخ القبائل  
وقد زكى أبييهما ولم يفاضل. وهذا هو نص القصيدة كاملة. قال ابن سريجان:  
يا بنت فارق بين الاثنين كذا بقبلي تعايوا به شيوخ القبائل  
لو تجمعين القوم هم وآيا الأصحاب ما عدلوا حقل ولا قيل مايل  
يا حصية ما جابها كل جذاب ... يابنت معطي المسميات الأصايل  
فإن قل نؤ الوسيم والكيل بالباوصفا السما، السؤوق ما من صمايل  
وإن روجوا بالنزل شنين الاسلابواستربدت عنهم هزال القبائل  
للي به الدبدوب وللطوق قصابفداع فوق الراد بشطوط حايل  
بدال ما بالكف صفاط ما جاب ... هاتف شليل البئت وآفي الحصايل  
عوق الحصيم مبطل كل الاسبابجحيل شيال الحمول الثقايل  
إن جت جموع له مع القاع صبضايبجدع بحد السيف من جاه عايل  
له هدة يلقا به المرح هراب ... بكثر بحيل الصدد طعن السلايل  
وإن جاه بداي نهج تقل جلاب ... الصبح تبرا له خيار الأصايل  
عطيته من خير باب له لطلاب ... شيخ الشيوخ ونافل كل طايل  
شوايعه يا بعدها عند الاجناب ... الحيد شيال الحمول الثقايل  
ونقلت من كراسات الشيخ منديل قول أبو عنقا من عبدة من شمر، يخاطب صفوق الجرباء ويفخر

بقومه:

يَا صَفُوقَ شَفِّ حُمَرَ الدَّسَامِيلِ سَاحِجَةً مِنْ رُبْعَةِ " ابْنِ شُرَيْمٍ " قَامُوا لَأَ " بِالْمَيْخِ "  
أَنَا عَرَفْتُ وَجِيهَهُمْ يَوْمَ لَاحَهُ ... كَثْرَةُ مَنَاجِيهِمْ وَثَارُوا مَصَالِيخَ  
يَا صَفُوقَ تَرَى بَعْضَ الْمَسَائِلِ سَاحِجَةً ... يَا حَيْفَ نَزَعْلَهُمْ وَنَزَضَى الطَّبَائِيخَ  
رَبْعَ لَنَا نَقَضَى نُهُمَ كُلَّ حَاجَهُ ... تَرِ كَسْبُهُمْ يَوْمَ الْمَلَاقِي مَجَاوِيخَ  
الَّتِي قَالَيْعُهُمْ نَهَارَ اللَّجَاجَةِ ... قُبِّ مَنَاحِرُهَا سِوَاةَ الْمَنَافِيخِ  
وَقَالَ بَصْرِي الْوَضِيحِي مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ فِيهَا الشَّيْخَ صَفُوقَ الْجُرْبَاءِ:  
نَطَيْتُ رَجْمَ نَائِفٍ مَنْتَى بِي ... مَرَقَبَ " عَزْرَا " مَشْرَفَ هَاكَ عَنَهَا  
طَالَعْتُ بِالْحَابُورِ شَوْفَ عَذِيبٍ ... عَرَبِي تَلِيلَ تَمِيلَ مَرَحَلٍ شَقْنَهَا  
طَالَعْتُ بَيْتَ الشَّيْخِ سَقَمَ الْحَرِيبِ ... صَفُوقَ ثَقِيلَ الرُّوزِ حَامِي وَطَنَهَا  
شَيْخَ وَلَا هِيَ شَوْفَتَهُ مِنْ قَرِيبٍ ... وَلَا يَنْتَهِي عَن رَادَتِهِ يَوْمَ يَنْهَى  
الْبَيْتَ يَنْحَى وَالِدَحْنَ تَقْلَ سَيْبٍ ... سَيْبَ الْعِرَاقِ اللَّيِّ تَطَانَبَ دَحْنَهَا  
يَقْلَطُ صُحُونٍ بِهِ عَيْطُ وَعَصِيبٍ ... وَلَا قَلَّلُوا أَكَّالَةَ الرَّادِ مِنْهَا  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنِ صَفُوقِ الْجُرْبَاءِ أَثْنَاءَ مَدْحِهِ لِعَبْدِ الْمُحْسَنِ السَّعْدُونَ:  
وَهُوَ الَّذِي خَلَّى الصُّوَيْطِي عَدَا الْكُومِ ... وَالشَّمْرِي لِلشَّامِ يَطْرُدُ ظُعِينَهُ  
وَصَفُوقَ مِنْ كَوْنِ الْمَقْبَرِ إِلَى الْيَوْمِ ... مَتَقَادَ قَلْبِ النَّعَامَةِ قَرِينَهُ  
وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَذَا شَيْخِ عَنزَةَ يَخَاطَبُ الشَّيْخَ صَفُوقَ - وَهِيَ مِمَّا وَجَدْتَهُ فِي كِرَاسَاتِ  
الشَّيْخِ مَنَدِيلِ:

" مَرَجَانِ " قَرِيبَ سَابِقِي فِي جَلَالِهِ ... وَاخْلَبَ لَهَا مِنْ دَرِّ دَوْدَ حَوَاوِيرِ  
عُقْبَ الْعَلَيْقَةِ جَرَّ تَالِي الْعِشَاءِ لَهُ ... مِنْ مَنَسَفٍ مَا قَلَّلُوهُ الْخَطَاطِيرِ  
أَبَا أَرْكَبَةَ رَكْبَ الرِّشَاءِ لِلْمَحَالَةِ ... وَأَوْرَدَهُ تَوْرِيدَ عَرَبٍ عَلَى بَيْرِ

(1/32)

يَا صَفُوقَ عِنْدِي لِلسِّيَافَا جَمَاهُمَا انْسَاهُ كُودَ انْسَى النُّجُومَ الرُّوَاهِيرِ  
أَجِيكَ " بِالْوَيْلَانِ " نَفْوَةَ رَجَالِهِ ... كَتَعَجَ الْجَمُوعَ مَهْدَمِينَ الطُّوَابِيرِ  
بِالْكَفِّ مَصْفُوقٍ يَزِيدُ اشْتِعَالَهُ ... يُودِعُ شَطِي رُوسَ الْمَعَادِي شَعَائِيرِ  
وَقَالَ دَخِيلُ بْنُ نَاعِمٍ مِنْ قَبَائِلِ الصَّايِحِ، يَهْدِدُ صَفُوقَ الْجُرْبَاءِ:  
لَوْ جِئْتَ أَبُو فَرِحَانَ قُلْ لَهُ: عَبْرْنَا ... جَرَّاعَةَ مَا نَدَعِي الْحَشْمَ بِنْدَاسِ  
وَلَوْ تَرَكَبْتَ " الْأَرْوَامِ " كَلَّهُ بَاثِرْنَا لَا بَدَّ لَنَا يَا صَفُوقَ مِنْ رَفْعَةِ الرَّاسِ  
وَحِنَّا عَلَى خِرَابَةِ جَدُودِكَ صَبْرْنَا ... مَا هِيَ مَنَّاكَ وَجَائِي يَا ذَيْبَ الْأَمْرَاسِ  
قَبْلَ " الْجَزِيرَةِ " يَوْمَ " نَجْدِ " ذُبْرْنَا ... وَأَمَوَاتَنَا فِيهَا تَطَارِدُ الْأَفْرَاسِ  
يَا صَفُوقَ وَاللَّهِ مَا نَحَلِّي سَكْرَنَا كُودَ " الْجَزِيرَةِ " خَالِيَةً مَا بِهَا أُونَسِ  
كَانَ الْمَحْرَمُ شَبْرَ حِنَّا دَرَعْنَا ... رَمَى الْمَدْرَعُ مِنْ قَدِيمِ لَنَا سَاسِ

وقال الدكتور شفيق الكمالي: يروى عن الشيخ صفوق الفارس الجرباء وقد عاش في بداية القرن الثالث عشر للهجرة - أحد مشايخ قبيلة شمر - أنه كان في مجلس من مجالس بغداد، فدخل المجلس رجل احتفى به الجميع، ونال احترامهم فسأل عنه، فقيل له إنه الشيخ فلان. قال: هو شيخ أي قبيلة؟ فقيل له: إنه ليس بشيخ قبيلة وإنما شيخ الطريقة النقشبندية، وهي طريقة دينية. فكان جوابه: الدين ما به نقوش، أي ليس في الدين نقوش أو زخارف. وقال ردهان أبو عنقا في رثاء الشيخ صفوق:

مِنْ غَيْتِ عَنَا يَا ابْنَ آخِي سَبِيلَهُغَابَ السَّعْدَ عَنْ نَزَلْنَا وَالتَّوَامِيْسَ  
وَنَرْتَعُ رَيْبَعِ الصَّيْدِ وَنَجْفُلُ جَفِيلَهُوَصِرْنَا مِثْلَ فِرَزِّ الْأَمَاعِزِ بَلَا تَيْسَ

### فرحان بن صفوق الجرباء

قال أبو عبد الرحمن: ولعل الذي تولى الزعامة بعد صفوق ابنه فرحان باشا، ولقد رأيت له ذكراً في الشعر العامي في قول شاعر من زبيد، يتغنى بانتصار آل عُبَيْنٍ من عَنَزَةَ على فرحان الجرباء:

صَكُّوا عَلَيْكُمْ بِالسِّيُوفِ الصَّقِيلَةِ لَا مَا بَكَى حَبْسَ الْمَلَازِمِ " فَرَحَانَ "

وقصة هذا البيت كما قرأت في كراسات الشيخ منديل: أنه نوح رجل من زبيد عن فرحان الجرباء، لجرم ارتكبه، والتجأ عند الْعُبَيْنِ من عَنَزَةَ، وأقام عندهم مدة. ثم أصاب ديارهم محلاً فاحتاجوا للرعي بالجزيرة، وطلبوا من الجرباء مدة معينة للرعي فأذن لهم. ولما علم أن الرُّبَيْدِيَّ معهم أرسل من يأخذ إبله. فقام شيخ الْعُبَيْنِ وقال: من لم يمر على بيت الرُّبَيْدِيَّ جارنا ويعوضه بناقة فليس عُبَيْنِيًّا! فصار كل صاحب ذود يأخذ منه مطية إلى إبل الرُّبَيْدِيَّ، حتى ردوا عليه ما أخذ منه وزيادة خمس عشرة مطية. فأقبل رجل من الْعُبَيْنِ متأخر، فقالوا له: اكتفى الرُّبَيْدِيَّ وحصل له أكثر من حقه. فقال: لست قاصراً عن جماعتي إن لم تأخذوها له ذبحتها! ولما عادوا إلى بلادهم، أغار عليهم قوم من شمر الجزيرة فانصرف الْعُبَيْنِ على الشَّامِرة، فلما علم جارهم الرُّبَيْدِيَّ الذي عاد إلى الجرباء بالجزيرة بعد انتهاء جرمته قال:

يَا مَرْزِيَةَ عَزَّ نَشْتُ مِنْ مَحْيَلٍ ... مِنْ " الْجَزِيرَةِ " عَزَبْتُ بِمِ " حَوْرَانَ "

تَمَطَّرُ عَلَى " الْعُبَيْنَانَ " يَنْحَوْنَ سَبِيلَهُأَهْلَ الرَّبَاعِ اللَّيْلِ عَلَى الْحَيْلِ فِرْسَانَ

رَكِبُوا عَلَيْهِمْ مَقْحَمِينَ الدَّبِيلَةَ ... أَرْحَوْا مَصَارِيْعَ الْإِعْنَةِ وَالْأَرْسَانَ

صَكُّوا عَلَيْهِمْ بِالسِّيُوفِ الصَّقِيلَةِ ... لَا مَا بَكَى حَبْسَ الْمَلَازِمِ فَرَحَانَ

### فارس وعبد الكريم الجرباء

ولست أدري من تولى بعد فرحان إلا أن هناك اثنين توليا بالتتابع بعد فرحان، وهما من أحفاد فارس بن محمد بلا ريب: أحدهما: فارس الجرباء الذي ذكرت الليدي أن بلنت في رحلتها أنه شيخ الجزيرة في عهد محمد العبد الله الرشيد.

(1/33)

وثانيهما: عبد الكريم الجرباء وأخوه مُطلق، ولست أدري أيهما كان الشيخ إلا أنّهما معاصران لطلال بن عبد الله الرشيد، وعبد الله الفيصل فهما أقدم من معاصر محمد العبد الله الرشيد. وعبد الكريم له

شهرة كبيرة عند آل نجد، ولم أجد له هذه الشهرة عند مؤرخي العراق. قال أبو عبد الرحمن: وربما ترجح أن عبد الكريم ومطلق ابنان لفرحان بن صفوق، وأن عبد الكريم تولى بعد فرحان مباشرة ثم بعده فارس. وصفوق معاصر لعبد الله الرشيد، وله علاقة في مساعداته له أيام محنته مع آل علي، وربما كانت بينهما مصاهرة.

فقد أملى عليّ الشيخ منديل هذين البيتين لعبد الله بن علي ابن رشيد يخاطب أخاه عبيداً بعد أن رجعا من العراق وزوجا أختهما من الجرباء. قال عبد الله:  
يَاعْبِيدُ مَا بَاقٍ لَنَا كُودٌ حَاجَةٌ وَهِيَ حَاجَةٌ لَا هَيْبَ تَشْتَرِي وَلَا تَبَاعُ  
وَيَاعْبِيدُ تَرَى بَعْضَ الْمَعَانِي سَمَاجَةً ... وَاللَّهِ إِلَى مَنِّهِ نَوَى ضَائِعٌ ضَاعُ  
ومن أخبار عبد الكريم الجرباء هذه القصة التي نسبها الشيخ ابن خميس إلى أحد مشايخ آل الجرباء.  
قال ابن خميس عن عبد العزيز بن عيد " العزّي " راعي البصرة: إنه قال هذه الأبيات يمدح أحد المشايخ من آل الجرباء.

يَا الزَّيْرُ يَا الرَّحَارُ يَا التَّمْرُ يَا الدَّيْبُ يَا الْيَثُ يَا اللَّيْثُ يَا الشَّبْلُ يَا الدَّابَّ  
نَطَّاحَ طَابُورَ الْعَسَاكِرِ إِلَى هَيْبِ السَّيْفِ لِرُقَابِ الْمَنَاعِرِ قَصَابُ  
عَيْبِهِ إِلَى مَنْ قَالُوا النَّاسُ بِهِ عَيْنُ السَّمْنِ فَوْقَ مَفْطَحِ الْحَيْلِ صَبَابُ  
قال ابن خميس: ويقال إنه لما أمعن في إيراد هذه الألفاظ الجزلة بهذا الأسلوب الشعري القوي، وكان الجرباء متمنطقاً بمنطقة ذهبية وبها خنجر ثمينة شعر الممدوح بالزهو والإعجاب، وتعاضم حتى لم تقو هذه المنطقة على تحمله، فانبترت، وكانت أولى هبات الشاعر! قال أبو عبد الرحمن: وتابع ابن خميس على هذا العزو نقلاً عنه كُلاً من الحقيقل وصاحب " الأزهار " والكمالي. والصواب ما نشره الشيخ منديل، وحدثني به إبراهيم أن الأبيات لخضير الصعيليك من قصيدة يمدح بها عبد الكريم الجرباء مطلعها:

يَا شَيْخَ اَنَا جَيْتُكَ عَلَى الْفَطْرِ الشَّيْبَقِرَانُ مِنْ دَارِ الْمَحْبَبِينَ دَبَابُ  
قال منديل: وقيل: إنه يوم سمعها أعطاه جائزة خمسة عشر بغيراً بحمولتها من الأرزاق. قال أبو عبد الرحمن: وها هو نص القصيدة كاملة كما رواها الشيخ منديل. قال خضير الصعيليك:  
يَا شَيْخَ اَنَا جَيْتُكَ عَلَى الْفَطْرِ الشَّيْبَقِرَانُ مِنْ دَارِ الْمَحْبَبِينَ دَبَابُ  
دَبَا عَلِي وَدَبَّ مَنِّي بَتَقْرُبُ ... قَلَّ الْمَوَاشِي يَا ذَرَا كِلِّ مَنْ هَابُ  
مَنْ دَارْنَا جِينَا لِدَارِكَ مَعَارِبُ ... يَوْمُ نَجْمٍ لَا تَغْيَرُ وَلَا غَابُ  
مَنْحَرِكُ يَا مَنْقَعِ الْجُودِ وَالطَّيْبِ ... لَا خَيْبَ اللَّهُ لِلْجَاوِدِ طَلَابُ  
سَلَامٌ مِنْ قَلْبِ مُحِبِّ بَلَا رَيْبُ ... لَهُ يَسْتَتَابُ الشَّابُ وَيُشَبُّ مِنْ شَابُ  
يَا الْجَوْهَرَ النَّارِيَّ يَا الْمَعَطَّرَ الطَّيْبِيَّ الصَّعْلُ يَا الصَّهْلُ يَا حَصَانَ الْاطْلَابُ  
يَا الزَّيْرُ يَا الرَّحَارُ يَا التَّمْرُ يَا الدَّيْبُ يَا الْيَثُ يَا اللَّيْثُ يَا الشَّبْلُ يَا الدَّابَّ  
يَا الضَّرَائِي الضَّرْعَامَ عَطَبُ الْمَضَارِبِيَا الْفَرْزُ يَا مَفْرَاصُ صِدِّهِ وَالْجَنَابُ  
يَا النَّادِرَ الْهَيْلِعَ عَقَابِ الْمَرَاقِبِيَا نَافِلُ جَيْلِهِ بَعِيدِينَ وَأَقْرَابُ  
نَطَّاحَ طَابُورَ الْعَسَاكِرِ إِلَى هَيْبِ السَّيْفِ الْعَدَارِي لِأَعْشَا الرَّمْلِ ضِبْصَابُ  
عَيْبِكَ أَلِي تَارَ الدَّخْنِ كِنَّةَ السَّيْبِ السَّيْفِ لِرُقَابِ الْمَنَاعِرِ قَصَابُ

وَعَيْبِكَ إِلَى مَنْ قَالُوا النَّاسُ بِكَ عَيْبِلَسْمَنْ فَوْقَ مُفْطَحِ الْحَيْلِ صَبَّابٌ  
وَذُبْحِ الْغَنَمِ وَالْكُومِ حَرْشِ الْعَرَاقِينِوَاعْطَا الْمَهَارَ، وَبَذَلَ مَالٍ بِلَا حِسَابٍ

(1/34)

وَبِكَ شَارَةَ كَبِّ الْفَرَادِ الْمَحَانِيْبِوَبَذَلَ الطَّعَامَ وَلْتَنَافِيْلَ كَسَابٍ  
وَمَرَا تَجْرَةَ لِلْعَدَا وَالْأَجَانِيْبِ ... تَفْجَا بِهَا غِرَاتٍ ضِدِّكَ بِالسَّبَابِ  
وَمِنْ عَقْبِ ذَا بِالْعَوْنِ مَايَبُكَ عَذَارِيْبًاخَلَا مِنْ السَّكْرِ عَلَى كَيْدِ شَرَابِ  
اجِينَاكَ فَوْقَ الْمُهْجَنِ شَيْبِ الْمَحَاقِيْبِوَلَمْشَاهِدُكَ يَاشُوْ وَصَاحِ الْاَنْبِيَابِ  
الْحَرَّ يَضْرِبُ بِالْكَفُوْفِ الْمَعَاطِيْبِوَالْتَبِعَ قَنَاصَهُ مِنْ الصَّيْدِ مَا جَابِ  
وَإِنَّتِ الَّذِي تَافِي بِكِلِّ الْمَوَاجِيْبِكَنْكَ " هَدِيْبِ الشَّامِ " بِالْحِمْلِ عَتَابِ  
تَشْنِي لَبُو " صَلْفِيْقِ " مَايَهُ تَكَادِيْبِ ... شَيْخِ الصَّخَا مِعْطِي طَوِيْلَاتِ الْاَرْقَابِ  
يَا مَا عَطِيْتِ اللَّيِّ يَجُوْنُكَ طَلَالِيْبِنُكُمْ وَاحِدِ جَالِكِ مِنْ الْوَقْتِ مَنْصَابِ  
وَفَرَجَتْ هِمَّةً فِي كِبَارِ الْمَوَاهِيْبِ مِنْ عَيْلَمِ يَزْمِي كَمَا يَزْمِي " الرَّابِ "  
عَزَّ اللهُ اِنَّكَ طِيْبٌ وَتَفْعَلُ الطَّيْبِوَالطَّيْبِ بِجِنَا مِنْكَ يَا زَاكِي الْاَنْسَابِ  
وَلَاهُوَ كَثِيْرٌ يَا مَهْدِي الْاَصَاعِيْبِ ... اَفْعَالِكُمْ يَعِدُّهُ اللَّيِّ بِالْاَصْلَابِ  
وذكر الأمير السُّديري أن عبد الكريم يلقب عند شمر وعنزة بسكران المَجَانين، وأورد قصيدة لَمُحْدَا  
الهِبْدَانِي، يمدح بها عبد الكريم، وهو يطلب الجوار عنده وقد أجاره عبد الكريم وجلس عنده. ومن  
هذه القصيدة قوله:

سَمُّوْا وَطِيْعِي عَلَى الرَّمْلِ وَنَشِيْلِ ... لَعْبَدِ الْكَرِيْمِ اللَّيِّ تَذَكَّرَ فَعَالِهِ  
لِلشَّيْخِ نَطَاحِ الْوَجِيهِ الْمَقَابِيْلِ ... وَمِنْ صَكَّتِهِ غُرَّ اللَّيْلِي عَنَّا لَهُ  
ووجدت في كتاب روزل عن الرولة مما زودني به مترجماً الأستاذ ناصر العُلبوي هذه الأحذية لأحد  
الشعراء يتهدد عبد الكريم الجرباء:

لِعِيُونِ شِفْحِ دَوَّحَتْ ... نَسْمَعُ بِهَا دَنْ الْجُرْسِ  
أَمَا رَمَيْتِ لَعْبَدِ الْكَرِيْمِ ... يَحْرَمُ عَلَيَّ رُكْبَ الْفَرَسِ

قال أبو عبد الرحمن: حدثني محمد بن يحيى - رحمه الله في حدود عام 1376هـ - عن منافرة جرت  
بين عبد الكريم الجرباء وأخيه مطلق، فهاب الناس المفاضلة بينهما، وهكذا فعلت والدتهما إلا أنها  
ذكرت أن مطلقاً وهو رضيع يمسك بالحلمة ولا يلتفت لمناغاة أمه له، أما عبد الكريم فيطلق الثدي  
ويلهو ببشاشة أمه ويضحك لها، ففهم الناس من ذلك أنها ميزت عبد الكريم بالكرم. ولفرط كرم  
عبد الكريم يلقبونه " أبو خوذة " كما سيأتي بيانه في قصيدة فجحان الفراوي. ونقلت من كراسة  
الشيخ منديل هذه الأبيات للشاعر ردهان ابن عنقا الشمري، يمدح عبد الكرم الجرباء، لما كساه  
فروته وهو لا يعرفه، لأنه وجدته غريباً في ليلة شاتية. قال ردهان:

الْبَارِحَةُ مَا هِيَ مِنَ الْبَارِحَاتِ ... مِنْ نَافِخِ يَنْفِخُ وَرَا الْبَيْتِ وَيُرِيْرُ  
تَصْنُحُ بِهَا الْخَلْفَاتُ وَالْمِسْمَنَاتِ ... كَنْكَ تَحِشُّ ظُهُورَهَا بِالْمَنَاشِيْرُ

تصبح حَوَاوِيرَ النَّصَا جَائِيَاتٍ ... قَامَتْ تَصُبُّ خَشُومَ غُوجِ الحَوَاوِيرِ  
 وُلُوْلَا " أبو مديغ " كَانَ هَذَا مَمَاتِي ... فِي لَيْلَةٍ مَا يَلْقِي لِي خَفَافِيرِ  
 عَطِيَّةِ مَاهِي مِنَ البَيِّنَاتِ ... " فَرُورَةَ " وَكِنَّةً سَابِقِ لِي مَعَاتِيرِ  
 أَبُوهُ مِثْلِهِ يَعْطِي المِسْمِيَاتِ ... قُبَّ الحَوَاوِيرِ نَاسَعَاتِ المَسَامِيرِ  
 وذكر الشيخ منديل أن خال عبد الكريم هو ابن سبيلة من آل شريم من عبدة. فبنات ابن سبيلة أربع  
 أم الشيخ عبد الكريم، وأم العجل من شيوخ عبدة، جده عقاب بن عجل، خال عبد العزيز ابن  
 متعب آل رشيد، وأم الريم شيوخ عبدة، وأم آل فهيد أهل الأسياح المعروفة بمطيرة.  
 وقال ردهان أبو عنقا يخاطب الشيخ عبد الكريم:  
 يَارَأكِبِينَ مُؤْمِنَاتِ السِّفَايِفِ ... حُمُرٍ وَهِنَّ مِنْ حُدُرٍ يَكْسُنُ تَقِيلَ حَامِ

(1/35)

مَتِّيَاتِ عَقْبِ مَاهِنِ عَسَايِفِ ... رَعَنَ عِظَامَ الرُّبْعِ عَامَ بَاثِرِ عَامِ  
 يَبْدُنُ كَلَامَ مَنْ دُمَاغِي طَرَايِفِ ... مِنْ رَاسِ عَوْدِ صَانِيْبِهِ عِشِّ وَهِيَامِ  
 يَلْفُنُ عَلَيَّ عَبْدَ الكَرِيمِ " أَبُو نَائِفِ " ... يَاعَلِّ عِزَّةَ دَائِمِ دَبِّ الايَّامِ  
 يَا شَيْخُ يَا اللِّي لَلْمَحْرَمِ خَلَايِفِيَا شَبِهَ زَمْلُوقِ الثَّرِيَا إِلَى زَامِ  
 يَالُوْلَبِ الحُكَّامِ وَآفِي الكَلَايِفُلُوْلَا عَلَيَّكَ مِنَ المَثَلَامِ مِثَلَامِ  
 أَصْعَيْتَ رَاسِكُ بِي رَاعِي غَزَايِفِ ... لَاقَاعِدِ عِزِّكَ بُرَاسِهِ وَلاَقَامِ  
 حَطَّاطِ غَلِّ بِالقُلُوبِ النَّظَايِفِ ... عَجَلِ عَلَيَّ نَقْلِ المَشَالِيثِ مِيَلَامِ  
 الرِّمْلِ عَرَبٍ مِنْكُمْ اليَوْمِ خَافُوشِ عِلْمِكُمْ يَا مَدَّ هُنَّ كِلِّ مِرَزَامِ؟  
 ثَلَاثِ جُمُوعِ عَائِزَاتِ الوَصَايِفِ ... مِثْنَحَرِيْنِ دَارِ " جَدْعَانَ " وَ " وَذَهَامِ "  
 امكُنْ تَرَاهَا مَا تَفِيْدُ الحَسَايِفِ ... شَيِّ يَفُوتِ اليَوْمِ عِدَّةِ مِنَ العَامِ  
 قال أبو عبد الرحمن: هذه القصيدة مما نقلته من كراسات الشيخ منديل، وذكر عن مناسبتها أن  
 الأحدب وقومه من الثابت من شمر، قتلوا غريما لهم اسمه ابن درعان، في بيت عبد الكريم الجرباء،  
 فغضب عبد الكريم وأمرهم بالرحيل عنه. إلا أن الشاعر ردهان خشي أن يلجأ الأحدب وقومه إلى  
 الأعداء، ولم يستطع أن يشير على عبد الكريم في الحال، فاحتالت زوجة عبد الكريم للشاعر بأن  
 فتقت ذرا البيت من كل جانب، وعبد الكريم نائم، فلما أستيقظ أمر بستر البيت وتسويته فقالت:  
 إني كشفت البيت لأجل الأعداء. فلما مهدت له المناسبة قدم مشورته في القصيدة الأنفة الذكر.  
 ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه الأبيات للشيخ عبد الكريم الجرباء بمناسبة طلب " البيه "  
 مفوض الدولة لفرسه الكحيلة وإصراره بأنه سيأخذها بثمن أو غير ثمن.

قال عبد الكريم:

أرسلت لي يا " بيه " خُطٌّ يُرُوعُ ... تَطْلُبُ عَذَابِ مَلَاوِيَاتِ الفُرُوعِ  
 أُنْعِي إِلَى مَا حَصَنَ الجُمُوعِ ... أَثْنِي عَلَيَّهَا مَعَ جُمُوعِ الطَّنَايَا  
 يَا " بِيه " مَاهِي قَنَبِرٍ بِالصُّحُونِ ... هَذِي " كُحَيْلَةَ " مِثْلِ عَنَزِ البُدُونِ

أبغى إلى جوا لأبتي ينتخون ... في ساعة حامت طيور المنايا  
البيع والله ما نبيع " الكحيله " ... الأ ولا نصخي بها ربع ليلة  
أي إلى ما سندوا مع طويلة ... أثني عليها عند تالي الرذايا  
ما همني " البيه " ولا هم " شريف " ... حنا منزحة العدا والحفيف  
بالغضب ما نعطي عدال الرغيف ... وعند الرضا حنا كبار العطايا

(1/36)

وقال فهد المارك رحمه الله: يقول الأستاذ أدهم الجندي: كنت ذات يوم في نادي المرحوم مثل باشا الجرباء، في دمشق فسئل الشيخ مثل عن أعظم شيء سمعه ورآه من مواقف الشجعان النادرة، فأجاب بقوله: إن أروع وأهم مشهد رآه في حياته هو شجاعة فارس من فرسان قبيلة عنزة.. ويمضي الشيخ مثل في حديثه حسب رواية الراوي إلى أن قال: كنا غزاة من قبيلتنا " أي قبيلة شمر " بقيادة المرحوم عبد الكريم الجرباء، قاصدين غزو قبيلة عنزة، فوجدنا إبلا ترعاها فتاة، فاغتنمناها، اعتقاداً منا أنها لقمة سائغة، وقد لفت انتباهنا نظرة الفتاة المختصة برعاية الإبل، فقد كانت تنظر إلينا نظرة الساخر، أو المستهتر، وما كنا نظن أن وراء نظرتها هذه ما ورائها من سرّ دفين. وما أن قطعنا مسافة ليست بالبعيدة حتى لحقنا فارس بمفرده وعندما دنا منا طلب منا " الحذية " أي الهبة كما هي العادة المتبعة بحالة كهذه، فالمغتم حسب العرف المتبع يتحتم عليه أن يهب من غيتمته. فيقول مثل: لم نتردد من هبته ناقتين، ظانين أن ذلك كاف له، ولكنه عاد فطلب " الحذية " مرة ثانية فوهبناه ناقتين أيضاً، ثم عاد ثالثة فطلب، فوهبناه عدداً ماثلاً، ثم عاد رابعاً يطلب " الحذية " ولكن بلهجة توحى أنه لم يكن مستجدياً، كما بدا لنا من الوهلة الأولى في طلبه السابق، وإنما كان هذه المرة متحدياً، ولذلك برز لئنازلته ستة من فرساننا بينما نحن نسوق الإبل التي اغتنمناها، فظل برهة يتصارع مع الفرسان بين كرفٍ وفرفٍ، وبعد ذلك لحقنا أفراس رفاقنا خالية سروجها من فرسانها الذين أبادهم هذا الفارس. فلم يسعنا إلا أن أبرزنا فرساناً أكثر عدداً من السابقين بينما ظل البقية منا يسوقون الإبل، وما أن أخذنا فترة حتى لحقنا أفراس قومنا الذين كان مصيرهم كمصير سابقهم. فكانت النتيجة أن أربنا الفارس وأدخل في قلب كل منا الرعب، فهربنا تاركين له إبله، مغتمين السلامة بعد أن قتل منا فتية من خيرة فرساننا. وبعد، فقد وجدت السيد الجندي راوي القصة مندهشاً ل من البطولة التي قان بها الفارس، وبالرغم من أنها بطولة خارقة حقاً، ولكنه مندهش ومعجب في آن واحد من اعتراف المرحوم مثل الجرباء بشجاعة عدوه. ولكنني شخصياً لم استغرب ذلك بحكم معرفتي الراسخة لأخلاق العرب. وستأتي أخبار لعبد الكريم وفرحان في آخر هذا الفصل. وقد مات عبد الكريم مشوقاً، شنقه الأتراك في حدود عام 1265هـ. ومن عني بمدح عبد الكريم فجحان الفراوي فمن ذلك قصيدته الميمية. حدثني بها محمد بن يحيان - رحمه الله - ولا أضبط نص لفظه وأملأها على رضيمان بن حسين الشمري، ونشر منها ابن بليهد بيتين، وأوردها الشيخ منديل في كتابه قالها عند انتجاعه لعبد الكريم الجرباء، بعد تردده بين أبي بندر طلال بن عبد الله بن رشيد وابن الإمام عبد الله الفيصل: قال فجحان الفراوي:



أَخَذَتْ لِي مِنْ بَيْنِ الْإِثْنَيْنِ سَجَّةً ... مَا بَيْنَ " أَبُو بَنْدَرٍ " وَ " وَلَدَ الْإِمَامِ " مِنْ عَقْبِهِمْ نَأْخِذُ عَلَى الْهَجْنِ هَجَّةً ... لِذِيَارِ سَمْحِينَ الْوَجِيهِ الْكِرَامِ لَمْشَاهَدَ " الْجُرْبَانَ " فَرَضَ وَحِجَّةً ... مِنْ بَدِ بِنَائِي الشَّعْرَ وَالْحَيَامِ  
 أَمَا الْكِرَمَ صَحَّةً وَجَّةً ... مَا أَخَذَ مَنَاحِيهِمْ جُنُوبٍ وَشَامِ  
 مَنْصَائِي هُوَ مَلْفَائِي يَوْمَ اتَوَجَّهْتُ ... عَبْدَ الْكَرِيمِ اللَّيْثِ غَايَةَ مَرَامِي  
 كَمْ وَاحِدًا جَاءَ مِنْ بَعِيدٍ يَسْجَهُ ... يَبِي يَشُوفُكَ يَا بَعِيدَ الْعَلَامِ  
 وَكَمْ مَرَّةً خَلَى عَلَى الصَّدِّ عَجَّةً ... بِنَمْرًا يَجْرَةَ مِثْلَ وَسْطِ الْكِتَابِ  
 تَلَقَّى بَقْلَبِ الْإِلِيِّ يُعَادِيهِ رَجَّةً ... مِنْ خَوْفِيهِ يَحْرَمُ عَلَيْهِ الْمَنَامِ  
 وَشَلْفَ تَوَسَّعَ بِالْأَبْصَاهِرِ مَفْجَةً ... وَحَدَّبَ الظُّهُورَ اللَّئِي تَقْصُّ الْعِظَامِ  
 عَلَى مَهَارٍ يَرْعَبُ الْقَلْبَ عَجَّةً ... فِرْسَانَ يَكْدُونُ الْعُدُوَ بِالرَّحَامِ

(1/37)

آخِرُ كَلَامِي " لِيُوَ حَوْدَةٌ " مُوجَّهَةٌ ... شَطَّ الْفِرَاتِ إِلَى حَدَّتِكَ الْمَنْطَامِي  
 يَا لَهِ يَأُوَالِي لِمُقَادِيرِ نَجَّةً ... حَيْثُهُ كَرِيمٌ وَمِنْ مُوَارِثِ كُرَامِ  
 ثُمَّ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَمَلَاهَا عَلَيَّ رُضَيْمَانَ بْنِ حَسِينٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْفِرَاوِي قَالَهَا بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنَ الْجُرْبَاءِ وَنَشَرَهَا  
 الشَّيْخُ مَنَدِيلٌ فِي كِتَابِهِ. قَالَ فَجَحَانٌ مَشِيرًا إِلَى أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ الْجُرْبَاءِ أَعْطَاهُ فِرْسَانًا:  
 سُؤَالْفِي عِنْدَ النَّشَامِيِّ طَرِيقَهُ ... مَا هِيَ خَرَابِيطُ تَعُوذُ عَلَى مَا شِ  
 قَلْبِي يَجِبُ مَلَفَاتِ السِّفِيْفَهُ ... نَوْمَ الْخَلَا عِنْدِي مَضَارِبُ وَفِرَاشُ  
 جِبْتِ الْحِصَانِ وَجِبْتِ " هَدْبًا " وَرَيْفَهُ صَمَّ الْخَوَافِرِ مِنْ مَرَكَيبِ " الْإِبْوَاشِ "   
 مَانَابٍ مُقَابِلَهَا تَقْلُ لَوْنٍ جَيْفَهُ ... لَا صَارَ غَازِي رَحْتِ طَرَّاشُ

### الشيخ العاصي

ومن أعلام آل الجرباء البارزين أبو الهادي الشيخ العاصي من الجزعة وهو شيخ شمر كلها في الجزيرة. ووجدت في كراسات خطية للشيخ الأمير أحمد بن محمد السديري جمع فيهن أحاديث الخيل من الشعر العامي أخبارا تتعلق بالعاصي، وابنه الهادي، فنقلتها هاهنا. وكان الأمير السديري عهد إليّ بشرح كتابه فأنتهيت الجزء الأول، فلمّا توفي رحمه الله استرد مني ابنه مشعل أصول الكتاب، مع ما شرح منه، ولا أدري ماذا تم بتلك الأسفار النفيسة. فمن أخبارهم ما يتعلق بالخلاف بينهم وبين الثابت، وقد بين الأمير السديري - رحمه الله - سبب العداوة بين الهادي وال ثابت، فذكر أن العرجاني العريفي الظفيري كان جاراً عند مناور بن سوقي شيخ العفاريت من عبدة من شمر، ثم رحل عنهم ورجع بعد سبع سنوات، إلا أنه قبل أن يصل إلى مناور، أغار عليه الهادي وهب منه رعينين، وقد اعتذر مناور عن إغاثة العرجاني، لأنه إنما كان جاراً له منذ سبع سنوات، إلا أن العرجاني ألح على نجدته وأثار نخوته، وتعلل بأن الهادي أخذه وهو في طريقه إلى الجوار، فثارت النخوة في رأس مناور، وراح يستنجد بمتعب الحدب، وجماعته الثابت، فركب متعب لنجدته في ستين فارساً ونزل على الهادي شافعاً في رعيي العرجاني، بيد أن الهادي رفض وجاهته، فركب الحدب جواده غاضباً، فناداه الهادي

متهكماً: قدامكم الحُمُر " يعني نياقه " ! وهو بهذه الجملة يتحداهم أن يأخذوا نياقه. فاصطف الحدب وجماعته صفين يحدون بهذه الأحذية لشاعر من الثابت:

حَتَّا هَلْ الْجُدْعَا وَكَأَدُ ... إِنْ أَقْفَنُ وَأَقْبَلُنْ بِنَا  
حَتَّا ذَرَاكُم مِّنْ شِمَالٍ ... وَكِلَّ الْحِرَابِ بِجُنَيْنَا  
يَا مِنْ يُسَابِلِ شَيْخِنَا ... يَا رُبْعَنَا وَشِ ذُنْبِنَا

ومروا على إبل الهادي الحمر، واستولوا عليها. فطلب الهادي جواده، وأهاب بجماعته، فبادر والده العاصي بالأمر بربط ابنه الهادي، ووضع الحديد في يديه ورجليه، كما أمر بإرجاع رعيي العرجاني للحدب، مع جماعة من الخرصه وبالمقابل قام الحدب بإرجاع إبل الهادي. وأما الهادي فقد أغمي عليه من الغضب. ومن هذه الحادثة اشتعلت نار العداوة بين الطرفين، وفي خلال المَعَارِكِ بينهما قتل الهادي، قتله فهد بن شخير الوضيحي حفيد الشاعر بصري الوضيحي، وقد فر فهد من جزيرة العراق والتجأ عند ابن مهيدي في سوريا، وبقي عنده إلى أن مات. وبهذا السبب طرد العاصي أبناء عمه الثابت والفضاعة، من جزيرة العراق، فالتجأت هاتان القبيلتان عند صنّاء ماجد من الفدعان، وكونوا لهم قوة، ثم رحلوا ضيوفاً عند العاصي، وصالحوا إلا أن العاصي استثنى منهم الوضحان، القتلة المباشرين للهادي، ولا يزالون جالية عند الفدعان إلى الآن. ولعله قبل هذا الظرف قال فهد بن شخير قصيدته التي يخاطب بها الجرباء. قال فهد - كما في كراسات الأمير السديري -:

قَالُوا: تَسِيرَ قِلْتِ مَا نِي مُسِيرَ ... يَكْفُونِي الْمَسِيرَ فَتَحَانَ الْإَيْدِي  
إِلَّا أَنْ يَقُولَ الشَّيْخُ سِيرَ وَسِيرَ وَيُعْطِينِي اللَّيِّ مِثْلَ عِنَقِ الْفَرِيدِ  
أَنْ مَا ذُبِحَتْ ذَهَامٌ وَالْأَمِيرُ ... يَحْرَمُ عَلَيْهِ لِأَبْسَاتِ الْحَدِيدِ

(1/38)

وقد رد عليه دلي الؤمير شيخ الخرصه من صنّاء ماجد من الفدعان من عنزه:

يَا رَاكِبَ اللَّيِّ مَا لَهَجَهَا الْحَوِيرُ حَمْرًا طَوَاهَا الْفُقْلُ عُقْبَ الْفَدِيدِ  
يَارَاكِبَهُ وَصَلَّ سَلَامِي شَخِيرَ ... اللَّيِّ بَدَعَ بِالشَّيْخِ قَافَ جَدِيدِ  
أَبُوكَ قَبْلَكَ مَا ذَبِحَ كُلَّ حَيْرَ ... غَيْرَ الْقَصَايِدِ مَا ذَكَّرَ بِهِ حَمِيدِ  
نَرَكَبَ عَلَى مِثْلِ الْحَمَامِ الْمُطِيرِ تَاطُنَ حَدِيدِ وَلَبَسَ أَهْلَهُنَّ حَدِيدِ  
يَا مَا وَقَعَ بِنَحْوَرِهِنَّ كُلَّ حَيْرَ ... عَلَيْهِ سِحْمَانُ الصُّوَارِي تَعِيدِ  
دَهَامَ شَيْخِ الْقَوْمِ مَا هُوَ صَغِيرَ ... فَرَقَهُ عَلَيْكُمْ يَا الْوَضِيحِي بَعِيدِ

ووجدت في كراسات الأمير السديري - رحمه الله - هذه الأحذية لحاد من الثابت من شهر يؤكد مقتل الهادي الجرباء:

يَا لِلِّي تَدْوَرُ لِلْقَصَا ... إِنْشُدْ وَحِنًا حِرْوَتَهُ  
سَبَعَ الْحَلَا وَقَفَّ عَلَيْهِ ... وَالسَّبْعُ يَأْكُلُ كِلْوَتَهُ

وقد قال العاصي عدة أحديات في رثاء ابنه الهادي فمن ذلك قوله:  
مَرْحُومَ يَا مَبِيتَ لَنَا ... يَذْكُرُ لَنَا تَحْتَ الثَّرَى

يَا الْهَادِي يَا لَيْتِكَ تَقُومُ ... وَتَشُوفِ عِقْبِكَ وَشِنْ جَرَى  
مَنَاوِرٍ يَطْلُبُ حَلِيبَ ... يَبِي مَنِ الْحُمْرِ عَشْرًا  
وقال يخاطب الحدب شيخ الثابت بعد قتلهم لابنه الهادي:

يَا وَنَةَ وَنَيْبَتَهَا ... مِنْ ضَامِرِي يَا أَبُو عَلِي  
يَا لَعْنُ أَبُو ... الْحَدَبُ ... لَوْلَا الرِّدِّي يَزْرِي عَلِي  
وقال الهادي يرثي ولده الهادي:

يَا الْهَادِي مَا انْسَى عِبْرَتَكَ ... كُودَ الْجَمَلِ يَنْسَى الْهَدِيرُ  
مِنْ عَقْبِ فَقْدِي سِرْبَتِكَ ... الدُّنْيَا مِنْ عِقْبِكَ تَدِيرُ  
يَا مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبَتِكَ ... رَأْسَ مَعَ السَّرْبَةِ كَبِيرُ

وذكر عبد الجبار الراوي أن الهادي تولى شيخة الجربان بعد أن هرم والده فنافية أولاد عمه جار الله،  
فقال العاصي يشجع ولده الهادي:

لَكَ دِيرَةٌ فَيَضَهُ نَعِيمٌ ... مَتَعِبٌ وَالسَّيْبُ يَرِيدُهَا  
الشَّيْخُ مِثْلَكَ مَا يَنَامُ ... يَتَعَبُ عَلِي تَبْرِيدُهَا  
فقال الهادي يخاطب والده:

أَذْرِي بِمَا قَبْلَ تَقُولُ ... بِنْتِ تَنْسِفَ عَيْدَهَا  
مُفْرَاصَ بِالْوَدِّ الْحَدِيدُ ... بِخُنُوكِ مَنْ يَرِيدُهَا  
وقال يخاطب ابنه الهادي:

يَا الْهَادِي رَبُّكَ وَاهْمُوكُ ... رَاخُوا عَلِي نَبْطَ الْعَجَاجِ  
وَلَدَ الظَّفِيرِي جَهْلَمُ ... حَرِّ تَوَلَّى لَهُ دِجَاجِ  
وقال العاصي:

يَا الْهَادِي هَذَا هَفُوتِي ... مَا هِيَ هَفُوقُ خَطُوقِ الْوَلْدِ  
تَرِ لَا يَتِيكَ غَوْشَ الْيَمَنِ ... مَا هُمْ مَجْمَعُ مِنْ بَلَدِ  
يَا الْهَادِي يَا طَيْرَ الْمَدَادِ ... مِنْ جَيْتِ فِي وَجْهِكَ سَعْدُ  
وقال في ابنه البكر:

يَا ضَنْوَةَ خَسْرَتُهَا ... مِنْ غَيْرِ اخُو شَاهَةَ فِسَادِ  
فِيهِ الرِّعِيلِي وَالذُّوَيْشِ ... وَعُضَيْبِ خَالَ امَّةٍ وَكَادِ  
وقال في ابنه هادي من لحن المسحوب:

يَا طَيْرَ يَاللِّي مَا كَرِكُ بِالطُّوبُلَةِ ... بِالْمِسْتَوِي مَا بَيْنَ ابَانَاتِ وَسَوَاجِ  
مَا يَذْبَحُ الْأَكْلَ بَرَقًا جَلِيلَةَ طَيْرِ السَّعْدِ دَائِمٌ عَلَي الصَّيْدِ مَرْعَاجِ  
وقال العاصي يستحث حفيده دهام:

تَرَكْتِ عِيَالِي كَلْهَمُ ... وَانْحَاكَ يَا وَلَدُ وُلْدِي  
مَا كَرَّ حَرَارٍ مِنْ حَرَارِ ... مَحْفُوظٌ وَلَا عِرْقُكَ رِدِي  
حَلَيْبَتِ لُعْبَدَةَ مَرَّتَيْنِ ... وَالثَّالِثَةَ لِابْنِ جَدِي  
اخْدُرْ، تَنْبَهْ لَا تَنَامُ ... افْطِنْ لِحِقِّكَ لَا يُعْدِي  
وقال العاصي يخاطب حفيده دهام بن الهادي:

يَا ذَهَامَ عَبْدَةَ غَرَّبْتُ ... إِقْعِدْ تَحْرَمَ لَا تَنَامَ  
عُدُّوا بِمَنْسِفٍ قَدْ لَبِثَهُ ... الْهَادِي زَيْزُومَ الْجُهَامَ

وكان عقيل الباور قبل أن يتولى المشيخة، يكثر الإغارات ويحالفه النجاح، فيوزع الغنائم على بيوت شمر، فخشي العاصي من انتقال الزعامة إليه وانتزاعها من ولده، فقال يستحث ولده حاكم على أخذ الزعامة وهي من لحن الحداء:

اللِّي بِي شَرَبَ اللَّبْنَ ... يَنْزِلُ عَلَيَّ الْيَاوَرُ عَقِيلَ  
كُلَّ يَوْمٍ يَأْخُذُ لَهُ عَرَبٌ ... يُومِي لَشَمَّرَ بِالشَّلِيلِ  
نَازِعٌ يَأْخُطُو الْوَلَدَ ... مَجْمَعُ مَالِ الصَّلِيلِ

وذكر الأمير السديري - رحمه الله - أن قبيلتي الثابت والقداعة من سنجارة استنجدت بالبasha برهة، فأغاروا على العاصي، وأخذوا نياقه هبوب فقال العاصي:

هَبُوبٌ تَذَكَّرُ عِنْدَهُمْ ... حَلُوبَةٌ لَهْلُ قَنَاةٍ  
لَا يَدُّ نَأْخُذُ ثَارَهَا ... بِيَوْمٍ يَهِيلُ الْمَرْضِعَاتِ  
يَلْزَمُ عَلَيْنَا رَدَّهَا ... فَرَضَ كَمَا فَرَضَ الصَّلَاةَ  
وقال العاصي في هذه المناسبة:

هَبُوبٌ تَبْغِي لَهُ مَصِيفٌ ... تَنْزَحُوا عَن جَوْهَا  
تَنْزَحُوا يَا أَهْلَ الْقَنَاةِ ... وَالْحَرْبُ نَشَعَلُ ضَوْهَا  
فقال حاد من سنجارة يرد على العاصي:

يَا الْعَاصِي يَا الرَّاسَ الْكَبِيرَ ... تَبِي الْمَرَاجِلُ تَوَّهَا  
هَبُوبٌ تَبْغِي لَهُ صُبَاخٌ ... تَمْشِي وَتَحَازِرُ بَوَّهَا

وذكر الأمير السديري - رحمه الله - أن متعب الحدب شيخ الثابت التجأ إلى إبراهيم باشا. وإبراهيم باشا أصله من الرولة، وقد سكن العراق، والتف حوله جماعة من العربان فهادن الأتراك ومنحوه لقب " باشا ". فقال العاصي بهذه المناسبة:

يَا طَارِشَ يَمِّ الْحَدْبِ ... مِنْ وَرَا كَوَكَبٍ يَدِيرُ  
مِنْ عَقْبِ مَنَزَالِ الطَّرْبِ ... يَنْزِلُ عَلَيَّ خَسَنًا قَصِيرُ  
يَا حَيْفَ يَا سَعَّ الْجَنْبِ ... يَقْعِدُ لَأَعْنَدَهُ شَوِيرُ  
وقال العاصي رداً على خزعل أحد عبيد شمر:  
يَا عَبْدَ مَا حِنَّا عَلَيْكَ ... عَلَيَّ جَارَ اللَّهِ وَلَوْلَا  
وَعَسْكَرُكَ طَوْعَتُهُمْ بِالسَّيْفِ ... الْيَوْمَ وَأَيَّامٍ بَعْدُ  
وقال العاصي:

جَدِّكَ جِدَّانِيهِ ضِدِّيْدُ ... قِدْرَانِي، مَا تَدَانِ الْنَكَادُ  
مَا دَلَّكَ بِكَ بَرَقَا عَبَاةً ... طَلَعِكَ بَعِيدَ بِالْحَمَادُ  
بَنُكَ الزَعِيلِي وَالذُّوَيْشُ ... وَعُضَيْبُ خَالَ أَمَلِكِ وَكَادُ

قال الأمير السديري: حصل اختلاف بين العاصي وبين مطنى الصديد شيخ الصايح، فانضم آل جار الله من الجرباء إلى الصديد، وانضم ابن حسان شيخ الأسلَم إلى العاصي مع أنه معدود من الصديد. فقال العاصي بهذه المناسبة:

وَلَدَ الْمَحْرَمَ عَاشِرَهُ جَدْعَانُ ... كَلَّ يَوْمَ يَصْفِقُ لَهُ عَرَبُ  
الْحَرْبِ تَارَ وَذُبِحَ بِهِ شَجْعَانُ ... وَالْيَوْمَ اخُو شَاهَةٌ حَرْبُ

قال الأمير السديري - رحمه الله -: كان الثابت عند العاصي على الطعام وقد صالحهم بعد قتلهم لابنه الهادي، وقد أراد العاصي أن يروعه دون أن يغفر ذمة ضيوفه، فوضع العاصي هذه الأحذية على لسان بعض أصحابه، وأمره أن ينشدها بعد الطعام بصوت عالٍ:

يَا الْعَاصِي قَطِّعْ رُؤُسَهُمْ ... لِعَيْوُنٍ مِّنْ رَّكَبِ الْحِي  
الْهَادِي خَلِي بِالْمَحَاسِنِ ... وَالْجَفْنِ مَا جَلَّحَ هَنِي  
وقال العاصي مخاطباً عبيد بن شريعيب:

يَا عَبِيدَ وَيْنَ الْاَوْلَيْنِ ... اللَّيِّ صَلِيبِ سُورُهُمْ؟  
اللِّي يَصْكَوْنَ الْكَمِينِ ... وَطَعُونَهُمْ بِصُدُورُهُمْ  
إِنْ طَعْنُوا سُورِي يَا الْحِيْنَ ... نُحْطَكُم بِقُبُورُهُمْ

قال أبو عبد الرحمن: وفي وضع آخر من كراسات الأمير السديري نسب هذه الأحذية لحاد من عنزة بهذه الصيغة:

(1/40)

يَا زَيْدَ وَيْنَ الْاَوْلَيْنِ ... اللَّيِّ صَلِيبِ سُورُهُمْ؟  
نَطَاحَةَ وَجْهِ الْكَمِينِ ... وَطَعُونَهُمْ بِصُدُورُهُمْ

وكان عبيد بن شريعيب الشمري سليط اللسان، يحرض القبائل على أخذ الثارات، وقد طلب جوار عقيل الياور، فاشتراط عليه عقيل أن يترك إثارة الفتن، على أن يجري له أي راتب يريد. فقال عبيد يخاطب عقيلاً:

عَقِيلُ هَرَجِي فَضَّةٌ وَذِهْبَانُ ... مَا أَقُولُ اِنَا هَرَجُ ضَعِيفُ  
الْحُكْمِ مَا دَامَ لِبْنِي عَثْمَانُ ... الْحُكْمُ لِلْخَالِقِ يَقِيفُ  
وَالْحُكْمُ قَبْلَكَ زَوَّلَهُ سُلْطَانُ ... نَهَجَ مَلَطُ مَالِهِ رَدِيفُ  
وَإِخْوَانِ نُورَةَ تَرَكَوْا بَرَزَانَ ... وَالْبَيْتِ خَلَاةَ الشَّرِيفِ

وفي موضع آخر من كراسات السديري وردت الرواية هكذا:

عَقِيلُ هَرَجِي فَضَّةٌ وَمَرْجَانُ ... وَلَا حَكِينًا حَكَى الضَعِيفُ  
وَإِخْوَانِ نُورَةَ دَشَّرُوا بَرَزَانَ ...

وفي مرة - كما ذكر ذلك الأمير السديري - كان الجربان متهيئين لغزو برهة باشا، وبرهة هذا من الكواكبة من الرولة نزل بالعراق، وتزعم عدداً من القبائل، وأعطته الدولة لقب باشا لتأمين جانبه، وتستفيد من نفوذه في تطويع البدو. فلما شعر عبيد بن شريعيب بمسير الجربان طلب منهم أن يأذنوا

له بالذهاب إلى أهله عند برهة، وكان قصده أن ينذر برهة لأنه صديق له، فأذنوا له بعد أن أخذوا عليه العهود والمواثيق بكتمان الخبر، وصعب على عبيد أن يخيس بعهده فقال هذه الأحذية ملغزاً:

اللَّهِ مِنْ ذَابٍ دَبَا ... مَا بَيْنَ ثَوْبِي وَصَائِي

أَقْرَأَ قَرَايَةَ مَغْرَبِي ... وَلَا أَحَدٍ فَهَمَّ قَرَائِي

بَلَايِي مَا جَا مِنْ بَعِيدٍ ... أَنَا بَلَايِي بَلَائِي

مَا أَقْدَرُ ابِيحٍ بَسْرَهَا ... يَنْهَدُ سُورِ بِنَائِي

ورغم ترديده لهذه الأحذية فلم يفهمها جماعة برهة إلا بعد ما هزمهم الجربان هزيمة قاسية. وروى الأمير محمد السديري - رحمه الله - أن حكومة تركيا بالعراق أرسلت سرية تبحث عن العاصي، فالتجأ إلى أخيه، واختبأ في سدرة بجانب البيت، وطلب من أخيه أن يوهمهم بأنه الأمير إلى أن هرب العاصي، فلما تكشف الأمر رجعت السرية بدون طائل، فقال عبيد بن شريعيب يتندر بالعاصي:

تَقْلِيظَةُ الْعَاصِي لِحَوْه ... قَنِيَّةٌ مَتِينٌ لِبَسْتِهِ

سَطَطْتُ عَلَى نَحْوِ شَرَاهُ ... دِهْنٌ وَطَحِينٌ مَسْتَهُ

رَقْتُ عَلَى جِرَابِ الشَّحْمِ ... فَاتَتْ عَلَيْهِ وَمَسْتَهُ

يَا حَيْفَ يَا شَيْخَ الْجَهَامِ ... " فَصَلْ " مِنْ بَيْتِهِ نَسْتَهُ

زَيْنٌ عَلَى السِّدْرَةِ وَرَاهُ ... شَوْكُ الطَّوِيلَةِ دَسْتَهُ

وقال العاصي:

عَدَلَهُ شَقَّتْ ثَوْبَهُ زَيْوُنٌ ... وَالِدْمَعُ مَلَّى عِيُونَهَا

نَتْنَى ضَنَا صُبْحِي يَجُونُ ... وَالشِّيمَةُ مَا يَرْمُونَهَا

وقال العاصي:

مَا أَرِيدُ حَرْبَ الْمُرْتَكِي ... عَلَيَّمْ وَسَلَاحَهُ قَنَاهُ

نَتْنَى ضَنَا صُبْحِي يَجُونُ ... أَهْلَ الدَّرُوعِ الْمُبْهَمَاتِ

وقال العاصي:

يَا خَشْمِ قَلِّ لِلْمَعْتَدِي ... جُرُوحُ كَانَ إِنَّكَ نَسِيْتُ

يَصْبِرُ وَتَأْخُذُ تَارَنَا ... الصَّبْحُ مَا هُوَ بِالْمَبِيْتُ

مِنْ فَوْقِ حَيْلٍ مُكْرَمَاتٍ ... مِنْ فَوْقِهِنَّ بَعْتُ وَشَرِيْتُ

وقال العاصي:

مِنْ دَوْرِ سَالِمٍ وَالشَّرِيفِ ... مَا حَنَا لِلْقَاسِي لِبَانِ

حِنًا كَمَا عَشَّ الْعِرَاقُ ... نَلْحَقُ عَلَى طُولِ الرَّمَانِ

وقال العاصي:

الْبَيْرِقُ بَيْرِقُ الدَّرَاتِ ... وَالْيَوْمُ بَيْرِقْنَا نَصَلُ

الْحَيْلُ حَيْلُ ابُو عَقِيلٍ ... وَحَيْلِي مَنِ الرُّكْبَةُ نَصَلُ

الْعَامُ مَشْرُوبِي حَلِيبٍ ... وَالْيَوْمُ مَاكُولِي بَصَلُ

من عُقْبِ رُكْبِي لِلأَصِيلِ ... أَيُّومِ مَرْكُوبِي عَصَلِ  
وقال العاصي:

يَا حَيْفَ يَا طَيْرِي غَدَا ... ضَيَّعْتَ بَأْيَامَ الْهَدَاذِ  
عِنْدَ الْخَلِيصِ حِرْوَتَهُ ... وَالْأَهْلَ الْجُدْعَا وَكَأذِ  
وقال العاصي:

يَا طَارِشَ يَمَّ الْفِدْعَانَ ... مَا يَمْنَعُ مَقْدُورَهَا  
وَخَيْلَ السِّيَافَا اللَّيِّ تَقُولُ ... يَا مَا لَجْتُوا بِنَحُورَهَا  
مِنْ دَوْرِ سَالِمٍ وَالشَّرِيفِ ... الْحَيْلِ حَتَّى نَوْرَهَا

وقال العاصي يمدح مسلط بن ملحمة شيخ الجبور، لأنه أعانه في حروبه مع الثابت:  
أَبُو شَيْبَلٍ قَدَّ الْحَرَابِيبَ ... مَا دَاوَرَ الْخَيْرَاتِ عَنَّا  
الشَّيْخُ هُوَ عَزَّ الْقَرَابِئِلُ وَاللَّهُ مَا سَكَنَّا  
وقال العاصي:

صَبْرَتُوا لِابْنِ حَيْمَى؟ نَحِيلَةَ ... اخْسُوا عَسَاكُمُ لِلذَّهَابِ  
مَا مِنْ غَلَامٍ يَنْتَبِي لَهُ ... يَمْلَهُ بِالْأَبْهَرِ صُوبِ  
وقال العاصي:

اشْقُرْ ذُوَيْبَهُ عَذْبَكَ ... وَاعْوَاكَ نَقَاصَ الْجَعْدِ  
بِنْتِ الرِّدْيِ لَا تَأْخُذَهُ ... بِحَيْكٍ مِثْلِ ابْنِ وَالدِّ  
وقال الهادي:

مِنْ دَوْرِ سَالِمٍ وَالشَّرِيفِ ... يَا مَتَّعِبٍ وَأَنْتُمْ حَقَّنَا  
الصَّائِحِي جَابِيَةَ بِلَاةٍ ... عَنِ الْجَزِيرَةِ صَدَّنَا

وقد أورد الأمير السديري هذه الأحذية في موضع آخر من كراساته منسوبا للعاصي بهذا اللفظ: يا متعب وانتم عزنا قال الراوي: فهذه عشيرة شمر الجربة بالعراق قد عقد لواء المشيخة فيهل إلى الهادي وابوه العاصي حي، وإلى عقيل الياور وأبوه عبد العزيز حي. قال أبو عبد الرحمن: هو عقيل بن عبد العزيز بن فرحان ابن صفوق بن فارس بن محمد بن سالم الجرباء.

توفي سنة 1940م ولا تزال الرئاسة في عقبه في 14 تشرين الثاني. ومن أخبار الجربان التي لا أحقق زمانها حادثة سجلها أحد شعراء شمر بالجزيرة علي بن سريخان أوردتها فهد المارك - رحمه الله - وذكر أنها في رثاء ظاهر الجرباء الذي قتله ابن عمه فهد الجرباء:

بِاللَّهِ عَلَيْكَ بِجَاهَتِكَ يَا خَلُوجَ ... لَا تَقْطَعِينَ قُلُوبَ نَاسٍ مَرَّتَيْنِ  
أَنْتِ غَدَا لَكَ حَاشِي تَقِلُّ بُوْجِي ... اللَّيِّ إِلَى طَبِّ الْمَيْبَعَةِ بَعْشَرَيْنِ  
وَأَنَا غَدَا ظَاهِرٌ وَسَيَعُ الْفُجُوجُ ... اللَّيِّ بَيْنَيْتَهُ يَشْبَعُونَ الْمَسَاكِينَ

خريصات؟ فَوْقَ الْحَيْلِ مِثْلَ الْبُرُوجِ ... عَلَى الْكَيْمِينَ وَغَالِي الْعُمَرِ مُرْخَبَيْنِ  
وذكر المارك أن ممثلي قبيلة شمر الفرات من أسرة الجربان في كل من البرلمانين السوري والعراقي في الحين الذي يكون فيه انتخاب في القطرين. وذكر المارك ما يتعلق بزید بن عمرو الجرباء الذي نرح مع بعض جماعته من الفرات إلى الأراضي التركية المتاخمة للحدود السورية عام 1350هـ. وعن

إحدى معارك شمر وعنزة قالت مُؤيضي البرازية مفتخرةً ببلاء قومها المطران:  
وَأَقْفَنُ بِالْجُرْبَانِ مِثْلَ الْعَفَارَى ... وَالشَّيْخُ صَابَهُ مِطْرَقٌ شَقَّ لِأَحْيَهُ

### نفوذ آل الجرباء في العراق

وعن نفوذ آل الجرباء في العراق قال كحالة نقلا عن جونز: جربة شمر من عشائر العراق التي كان يمتد نفوذها إلى شمالي أرض ما بين النهرين من شمال سنجارة ونهر الخابور إلى الصقلاوية غربي بغداد وفي بعض الأحيان إلى الحلي. وقد وصف هذه العشيرة جيمس فيلكس جونز سنة 1853م بقوله: وهم يمثلون الرعب بالنسبة إلى السلطات التركية وللأهلين، ويعيشون في البرية والقفار، وفي المناطق التي تبدو غير مأهولة، ولا ترغب السلطات في الاستحواذ عليها، حيث ينطلقون منها في أعمال غزو ينهبون فيها كل ما تصل إليه أيديهم، حتى يصلون إلى أبواب المدينة في بغداد، ولما عجزت السلطات التركية عن صدهم، فقد رضيت في الأخير أن تدفع إلى زعيمهم راتباً شهرياً لكي يضمّنوا ولاءه، وبالرغم من تلك الاتفاقية حصل في بعض الأحيان نهب وسلب صغيرة. وقال عبد الجبار الراوي:

(1/42)

لم تكن للحكومة العثمانية على امتداد سلطاتها ورقعة البلاد التي تديرها أية سيطرة تذكر على البادية، ففي كل هذا الحكم كنت ترى مثلاً عشائر شمر تنتقل في الجزيرة بين الخابور ودجلة والفرات، وكل ما فعلته السلطات آنذاك أنها نصبت شيخين أحدهما " بداوة " يسير مع عشيرته وينتقل معها والآخر " مدينة " مركزه بين بغداد والموصل، وبذلك يكون قريباً من السلطات ليستعينوا به على الإدارة البدوية، والأول ينتخب من الشيوخ الشجعان الكرماء الموقفين بالغزو أما الآخر فيكون من أصحاب الوجاهة ولين العريكة، ولكن الشرط فيهما أن يكون كلا الشيوخ من آل محمد لأنهم بيت المشيخة، وبيت المشيخة وقف على آل محمد، وهذا ما فصلناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب. ومرد ذلك إلى أن معظم أهل الموصل أهل بغداد يعرفون آل محمد شيوخ شمر الجربة وهم أولاد فرحان باشا. وكثيراً ما كانت الحكومة العثمانية تغضب عليهم، أو تهددهم. وقد حدث مرة كما نوهت في فصل آخر أن أحد الولاة غضب على أحد الشيوخ وكتب إليه كتاباً مهدداً إياه، اختتمه بقول ابن الوردي:

جانِبِ السُّلْطَانَ وَاحْذِرْ بِطُشْتَهُ ... لَا تَخَاصِمْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

فأجابه الشيخ مستعظفاً إياه، مردداً في ختام رسالته إليه قوله:

جانِبِ السُّلْطَانَ وَاحْذِرْ بِطُشْتَهُ ... لَا تَخَاصِمْ مَنْ إِذَا شَدَّ رَحْلَ

والحكم العثماني لم يقتصر على اتخاذ طريق المشيخة وسيلة للسيطرة، بل إنه أنشأ قلاعاً للجند لتكون مركز قوة لفرض النفوذ تسير منها قوات كبيرة بين آونة وأخرى، وهذا ما حدث يوم سارت حملة كبيرة من تلك الأماكن على شمر حين عاث شيخها عبد الكريم الجربة فساداً في منطقة الموصل، فألقت القبض عليه وشنقته على رأس جسر الموصل، وقد عرف اعتداء شمر وشيخها بالموصل آنذاك باسم " خراب عبد الكريم "، وذلك يرجع إلى ما قبل مئة وثلاثين عاماً تقريباً، ولا بد



أن نذكر في هذا الصدد أن الموصول أصابها خراب على يد اثنين أحدهما عبد الكريم الجربة قديماً،  
وثانيهما عبد الكريم قاسم حديثاً، وهما باسم واحد مع اختلاف اللقب، ورغم الوسائل التي اتبعها  
الحكم العثماني، بقيت عشائر شمر تغزو عشائر عنزة وعلى الأخص بالشامية مما سبب الفوضى  
والتعدي على القرى والطرق التي يمر عليها الغزو، والمعابر التي يعبر منها على نهر الفرات وما زلت  
أذكر أيام الطفولة في راوة تلك الغزوات الكثيرة وكيف كانت الرماح الطويلة تملأ واديتها، إذ كان  
البدو يتخذون المعابر والمخاضات في راوة وجوارها مسرحاً لهم، وما زلت أذكر أسماء الرجال  
الشجعان الذين كان يتردد ذكرهم ممن كانوا يقودون الغزو وما كان بينهم من منافسة، ولا سيما من  
عائلة المشيخة أمثال منيف ونايف ونواف أولاد جار الله والهادي بن العاص، الذين كانوا يتنافسون  
على المشيخة في الجزيرة، حتى بلغ بهم الأمر حد الاقتتال واغتيال بعضهم بعضاً، وكان الأباء آنذاك  
يشجعون أولادهم على تولي المشيخة ويحثونهم عليها، لقد كان العاصي يردد لولده الهادي:

الشَّيْخُ مِثْلِكَ مَا يَنَامُ ... يَسْعَى عَلَى تَبْرِيدِهَا

كما كان يمتدحه دون إخوته بقوله: " يا ظنية بعد أبو شاته فساد ". واستمر الحال بين العشائر  
البدوية يغزو بعضها بعضاً، ويتقاضون بذلك تفاخرهم بعاداتهم التي جاء الإسلام قبل 1390 سنة  
فحاربها وندد بها واعتبرها عصبية جاهلية إلا أن ذلك لم يلق أي أثر على البدو، فإنه يروى أن فرحان  
باشا مر يوماً بقرية تدعى " المشاهدة " فرأى رجالها وقد امتلأت أجسامهم وضخمت قاماتهم، فقال  
لهم: لماذا لا تغزون؟ فقالوا له: لا نعرف، فقال لهم: اغزوا من هو أقطع منكم. وقال: أما في الشمال  
في منطقة الموصول، فقد ألف بيرق لشيخ شمر دهام الهادي إلا أن هذا البيرق لم يكتب له النجاح،  
وبعد إنشاء الحكم الأهلي ألفت الحكومة بيرقاً في الشمال لشيخ شمر الشيخ عقيل الياور وقد انتخب  
حديثاً، ولم يقبل أن يكون بيرقة بإمرة ضابط بريطاني، فاختارت الحكومة مؤلف هذا الكتاب قائداً لهذا  
البيرق في 2021922.

(1/43)

وقال: أما في الجزيرة التي يحكمها عشائر شمر، فقد اعتمدوا على الشيخ دهام الجربة رئيس عشائر  
شمر بالشمال في الجزيرة وفي جوار الموصول، وبواسطته وواسطة شيخ عنزة أصبحت مدرعات  
الإنكليز تجوب الجزيرة والشامية في كل وقت بأمان تام حتى إن سير هذه المدرعات علم في الأرض  
التي تسير فيها، وصار البدو وكل من يقطع البادية يرى طرق المدرعات واضحاً ولا سيما في أيام  
الربيع حينما تخضر الأرض، إلا مواطئ عجلاتها فلا تخضر، ولهذا يظهر للمشاهد كأنها سكة حديد،  
وقد عينوا لكل بيرق من هذه البيارق المؤلفة من منتي هجان قائداً بريطانياً، يعاونه ضباط من رؤساء  
العشائر كما هو في بيرق الدليم. وإن البيرق الذي ألف في الجزيرة عند الشيخ دهام قد أخفق في  
مهمته فألغي قبل تأسيس الحكومة العراقية. ولما رأس الأمير فيصل، اتجه إلى تعيين الشيخ عقيل  
الياور ابن عم الشيخ دهام شيخاً لمشايع شمر، وتأليف بيرق له، لسمعته الحسنة بين العشائر وبين  
الوطنيين لأنه كان مساعداً للثوار، فأمر أحد ضباط الثورة العراقية في الحجاز وسورية وهو السيد  
تحسين علي باستصحاب الشيخ عقيل الياور إلى بغداد، فذهب إليه في مضارب شمر وصحبه إلى

بغداد، وبعد مداوولات ومذكرات قررت الحكومة العراقية تعيينه شيخاً لمشايع شمر، وقد علّمت أن تلك المداوولات والمشاوير كانت جارية بين البلاط ودائرة المندوب السامي البريطاني، إذ كان البلاط يريد أن يكون الشيخ عقيل الياور هو الشيخ ودائرة المندوب السامي تريد دهام حفيد العاصي أن يكون شيخاً باعتبار أن المشيخة كانت وما زالت في بيت العاصي، وتجاه هذه المطالعة تمسك المملك فيصل برأيه باعتبار أن الشيخ العاصي كان نازلاً في موقع رميلان داخل الأراضي التركية، وأنه لا يمانع من إعطاء حفيد العاصي المشيخة إذا ترك جده العاصي منزله ونزل الأراضي العراقية، ولما طلب ذلك من دهام فعجز عن إقناع جده من النزول في الأراضي العراقية، اضطر المندوب السامي إلى الاتفاق مع المملك فيصل على تعيين الشيخ عقيل الياور شيخاً لمشايع شمر وتأليف بيرق له من متعي هجان، كما تقرر تعيين الكابت لودر البريطاني قائداً لهذا البيرق الذي عرف باسم المهجانة الشمالية وقد علّمت أخيراً أن الشيخ عقيل الياور لما علم بتعيين الكابت لودر لهذا البيرق، طلب من البلاط ومن وزارة الداخلية عدم تأليف هذه القوة، لأنه لا يوافق أن تكون بين عشائر شمر قوة يقودها ضابط بريطاني وبعد مذكرات ومداوولات بين البلاط ووزارة الداخلية تقرر أن يعين ضابط عراقي لقيادة هذه القوة بدلاً من الضابط البريطاني، ووقع الاختيار على كاتب هذه السطور ليكون قائداً لهذه القوة وجرى تعييني معاوناً لشرطة المهجانة في الموصل في 2021922. وكانت الجزيرة تحت سيطرة رؤساء شمر الجرية، وهذه السيطرة تمتد إلى قرى الموصل المتصلة بالجزيرة، وتشمل جميع من يسير بالجزيرة من قوافل تجارية بضمنها الأغنام التي يأخذها التجار إلى سورية وغيرها من عروض التجارة مهما كان نوعها، إلا أن هذه السيطرة لا تصل إلى حد النهب وأخذ المال، وإنما تمر الأموال بأمان إذا دفع عنها الرسوم التي يقررها رؤساء شمر إلى أصحابها المختصين وهذه الرسوم معروفة بالجزيرة وبين عشائرها ومن يسلك طريق الجزيرة باسم " الخوة " وهكذا كان رؤساء شمر الجرية ناشرين سيطرتهم عندما ألفت المهجانة. فشيوخ شمر آل محمد كل واحد منهم يعد شيخاً، وإن كانوا يحترمون ويطيعون الشيخ الذي تعيينه الحكومة، فمنذ زمن غير قليل والمشايخ في بيت العاصي عم عقيل الياور ويلقبون أهل هذا البيت بالجرعة على اسم أهمهم، وأما عجيل وأبوه فيعرفان باسم الدرّة اسم أهمهم أيضاً حيث كانت عشائر شمر ولا سيما الخرصة منهم تميل إلى العاصي، أما عشائر عبدة ولا سيما الذين نزحوا من نجد إلى العراق بعد سقوط إمارة آل الرشيد منهم، فيميلون إلى الشيخ الجديد الشيخ عقيل الياور، ولما نصب الشيخ عقيل شيخاً كان العاصي نازلاً في موقع رميلان داخل الحدود التركية بجوار نصيبين. كانت عشائر شمر كلها متفائلة من هذا الحدث الجديد، والشيء الذي عدوه حدثاً جديداً هو تأليف هجانة في مضارب الشيخ مع مخصصات ضخمة لم يألفوها، لأنهم كانوا قانعين بالرسوم التي يأخذونها باسم الخوة، وهم

(1/44)

متمسكون بما أشد التمسك، ويقول قائلهم " قطع الخشوم ولا قطع الرسوم " ولهذا نرى روحاً جديدة دبت فيهم وفي البادية ونشاطاً غير اعتيادي لأنهم سارعوا إلى الدخول في المهجانة والتعاون مع الشيخ الجديد. كيف لا يدب النشاط فيهم بهذا الحدث الجديد، وهم لم يشاهدوا موظفاً أو ضابطاً؟

وإنما هم لا يعرفون أكبر من درجة عريف، حتى أن عبد العزيز الفرحان والد الشيخ عقيل لما زار مدير الشرطة السيد تحسين علي، قال له عند توديعه شاكرًا إياه " الله يرقيك ويسويك شاويش! " فقال: " خلف الله عليك! ". إن لكل شيخ من شيوخ شمر الجربة جماعة من العبيد يعتمد عليها كقوة مسلحة، ومن الجملة الشيخ عقيل الياور، كان عنده جماعة من العبيد جيدة بل ممتازة يعتمد عليها لا باستعمال القوة فقط، بل بالملكات أيضاً، وقد اختبرتهم فوجدت كثيراً منهم أصحاب رأي صائب، وكان الشيخ يعاملهم معاملة حسنة، ويسميههم بآل، وبني، وهم يقابلونه بالاحترام والإخلاص، وما برحت أتذكر أن أكثرهم ينتمون إلى ثلاث أسر: سكون بما أشد التمسك، ويقول قائلهم " قطع الحشوم ولا قطع الرسوم " ولهذا نرى روحاً جديدة دبت فيهم وفي البادية ونشاطاً غير اعتيادي لأنهم سارعوا إلى الدخول في المهجانة والتعاون مع الشيخ الجديد. كيف لا يدب النشاط فيهم بهذا الحدث الجديد، وهم لم يشاهدوا موظفاً أو ضابطاً؟ وإنما هم لا يعرفون أكبر من درجة عريف، حتى أن عبد العزيز الفرحان والد الشيخ عقيل لما زار مدير الشرطة السيد تحسين علي، قال له عند توديعه شاكرًا إياه " الله يرقيك ويسويك شاويش! " فقال: " خلف الله عليك! ". إن لكل شيخ من شيوخ شمر الجربة جماعة من العبيد يعتمد عليها كقوة مسلحة، ومن الجملة الشيخ عقيل الياور، كان عنده جماعة من العبيد جيدة بل ممتازة يعتمد عليها لا باستعمال القوة فقط، بل بالملكات أيضاً، وقد اختبرتهم فوجدت كثيراً منهم أصحاب رأي صائب، وكان الشيخ يعاملهم معاملة حسنة، ويسميههم بآل، وبني، وهم يقابلونه بالاحترام والإخلاص، وما برحت أتذكر أن أكثرهم ينتمون إلى ثلاث أسر:

- 1 - آل عويد، وهم يعاونونه في إدارة المضيف والاستشارة التي تخص ذلك.
- 2 - آل وريدة، وهم يعاونونه في المراسلة.

(1/45)

3 - آل جفال، وهم مشهورون بالدلالة، أي معرفة الأراضي والطرق. وأشهر رجل رأيته فيهم ذياب الجفال، وقد استصحبته في بعض الأسفار، فقال لي: تريد طريقاً سهلاً أسيرك فيه؟ أو ذا شجر أو ذا رضم " حجر "؟ وعلى كل حال فهؤلاء العبيد كانوا قوته الأصلية. ولما ألفت قوة المهجانة، كان هؤلاء العبيد يبلغون مسلحا وقد أصبحوا من ضمن قوة المهجانة. وبعد إكمال تأليف القوة، أصبحت الجزيرة دار أمان، والغزو قضى عليه قضاء تاماً، وكانت قوة المهجانة من الوجهة الإدارية والانضباطية والتدريبية والتجهيز والتسليح بامرة قائد المهجانة معاون مدير الشرطة ومعرفته، وأما قبض الرواتب وتوزيعها فكانت بمعرفة الشيخ عقيل الياور، وتعد هذه القوة " معاوية هجانة " تابعة لمدير شرطة لواء الموصل، إلا أن مركزها الدائم في المنزل الذي ينزل فيه شيخ مشايخ شمر، وكان المركز عند تأليفها في الموقع المسمى " اخضيروات " قرب قرية الإبراهيمية التابعة لقضاء تلعفر، وكان الشيخ وقوته ينتقلون من مكان إلى آخر ما بين هذا الموقع الأثري المشهور المعروف باسم " الحضر " بالجزيرة، ولما ألفت القوة المركزية في الحضر، أصبح مقر المهجانة ومشيخة شمر في الحضر، إلى أن نقلت منها إلى معاوية شرطة قضاء الموصل. كان شيخ مشايخ شمر عقيل الياور طويل القامة حسن الخلقة والخلق محبوباً حسن السمعة قبل أن يصير شيخاً وكان موقفاً حين ما كان يقود الغزو، وكان

حسن التصرف بتوزيع الغنائم، فهذه أكسبته بين العشائر ولا سيما بين شمر السمعة الحسنة، أما حظه، فكما ظهر كان موفقاً لما كان يقود الغزو، وظهر بتوفيق احسن عندما صار شيخاً حيث تتراكم الشكاوي من تعديات شمر على قرى الموصل والمستطرقين لدى "القائم مقامين" ولا سيما قائمي تلعفر وسنجار، وعند متصرف الموصل والمفتش الإداري البريطاني، حتى يؤول الأمر إلى مراجعة الوزارة في بغداد، وتصدر أوامر بتوقيف دفع مخصصات الشيخ الذي يسافر بعد ذلك إلى الموصل ويواجه المتصرف والمفتش الإداري، وينتج من وراء هذه المواجهة إلغاء أوامر توقيف دفع المخصصات، وطبعاً هذا يدل على لباقتة وحسن تصرفه بالحديث وحظوته، وهكذا كان موفقاً طوال حياته - رحمه الله - وهو أُمي لا يقرأ ولا يكتب، اجتهد حتى تعلم أن يوقع توقيعاً بيده كتابة. البدو وإن كانوا في باديتهم بعيدين عن المدن والحضارة، يفهمون وضع الحكومة والحكام ونفوذ الإنكليز في سياسة العراق، وهذا الشيخ عقيل الياور الذي رفض أن يكون قائم برفقه ضابطاً بريطانياً، اعتقد البدو أنه لو لم يوافق الإنكليز لما صار شيخاً، كما يظهر ذلك من قصيدة شاعر البدو المعروف بابن دوخي التي مدح فيها عقيل الياور عندما صار شيخاً، وقال في مدحه له في مطلع القصيدة:

تَوَيْنِي لَقَيْتِ الْعَيْهِي ... لَيْثٍ تَقْفَى سَرِيئَهُ  
يَا دِهَام يَا وَرْنَا عَقِيلٌ ... مِنْ لَنْدُنْ جَتْنَا رَتْبَهُ

وقال الراوي عن فرحان: ولا بأس من أن أورد هنا قصة طريفة عن فرحان باشا الجدل الأعلى لشيخ شمر الجربة الحاليين، تدلنا على ما لعادة الغزو من رسوخ في نفوس البدو في الجبل القريب تقول الرواية إن فرحان باشا ذهب في أحد الأيام إلى قرية المشاهدة القريبة من الكاظمة "من ضواحي بغداد" فرأى سكانها ضخام الأجسام، فسألهم: هل تغزون؟ فقالوا: لا، فإننا لا نستطيع أن نغزو، ولم نتخذ الغزو صنعة، فقال لهم: أغزوا من هم أقطع منكم، أي أضعف منكم. وقال حمد الشرايبي يمدح آل الجربا في الجزيرة:

أَبُوِي قَبْلِي نَارِلٌ لَهُ بَمَرْجِهِ ... وَأَنَا نَصِيْتُ مَهْدِمِينَ الْجُمُوعِ

ووجدت في كراسات الشيخ منديل هذه القصيدة لمُنُوخ الغوييري يخاطب السويط ويدافع عن آل الجرباء وزعيمها بُنْيَّةً، بمناسبة إبل أخذت من الجربان:

يَارَاكِبْ حَرِّ تَطَارِخِ أَيْدِيهِ ... مِنْ نَسْلِ فَرْحَةَ عَدَلِ الْأَيْدِي حَوَارَهُ  
كُنْهِ إِلَى الْحَا مَعِ خَطَاةِ النَّبِيَّةِ ... سَيْلٌ تَحْدُرُ مَعِ شِفَا رَاسِ قَارَهُ  
مَلْفَاكُ مَانَعُ زَيْنَ رَاعِ الرَّذِيَّةِ ... الشَايِبِ اللَّيِّ كَلِّ شَيْبِهِ خِيَارَهُ

(1/46)

أَخَذَ الدِّبْشُ مَايَهُ عَلَيْنَا هَزِيَّةً ... الْعَيْبُ بِاللِّي جُرٌّ مِنْ فَوْقِ نَارِهِ  
دَوْرٌ مَنِيْعُكَ عِنْدَ ذَيْبِ السَّرِيَّةِ ... سَيْفُ السَّعِيدِي شَارِعٌ فِي فِقَارِهِ  
تَرَى حَيَاتِكَ يَا لِسُوَيْطِي زَرِيَّةً ... مَا عَادَ تَسْوَى عِنْدَكُمْ رُبْعُ بَارِهِ  
الطَّرْشُ عِنْدَهُ سَرِيَّةٌ زُوْبِعِيَّةٌ ... جَدَاغَةُ الْمَلْبَسِ بُوْجَةُ الْكِرَارِهِ

حَيْلٌ بِمُقَدِّمِهَا عَشِيرِكِ بَنِيَّهَ ... عَارِضٌ جُؤَابَهُ لِلتَّفَافِيقِ سَارَهُ

## 5 - نصوص العزاوي في عشائر العراق

الصايح من شمر: قال العزاوي عن الصايح: وهذه القبائل لم يكن اسمها هذا هو الذي يجمعها، وإنما هي في الحقيقة تسمية حادثة أُطلقت على مجموع من قبائل شمر كانت قد تابعت الصديد كما أن حارب الجرباء أو نازعها. فمن صار في جهة الصديد، أو تبعه وأجاب نداءه أطلق عليه الصائح، ومن مآل إلى الجرباء وتابع رؤساءها عد من الجرباء. وكانت بينهم الخصومات مشعلة فلا يريدون أن يرضخوا لمطالب الجرباء وأساساً الصديد منهم. ومما قيل في ذلك:

لَوْ جِيتَ أَبُو فَرْحَانَ قَلَّ لَهُ عَبْرَتُنَا ... جَزَاعَةٌ مَا نَدْعِي الْعَرِضَ يَنْدَسُ  
وَلَوْ تَرَكَبَ الْأُرُومَ كِلَّةً بَاتَرْنَا ... لَا بَدَّ لَنَا يَا صَفُوقَ مِنْ هَزَّةِ الرَّاسِ  
وَحَنَّا عَلَى خِرَابَةِ جُدُودِكَ صَبْرْنَا ... مَا هِيَ مِنْكَ وَجَائِي يَا ذَيْبَ الْأَمْرَاسِ  
قَبْلَ " الْجَزِيرَةِ " يَوْمَ " نَجْدٍ " ذَيْرْنَا ... وَأَمَوَاتِنَا فِيهَا تُطَارِدُ عَلَى أَفْرَاسِ  
يَا صَفُوقَ وَاللَّهِ مَا نُحَلِّي سَكْرَتَنَا كُودَ " الْجَزِيرَةِ " خَالِيَةً مَا بِهَا أَوْنَاسِ  
كَانَ الْمَحْرَمُ شَبْرٌ حَتَّى ذَرَعْنَا ... رَمَى الْمُدْرَعُ مِنْ قَدِيمٍ لَنَا سَاسِ  
آل محمد وقال العزاوي عن آل محمد ما أقول فيهم إلا ما قال ابن عثيمين من التومان  
اللي يغالطهم كذوب ماري ... تسري وتلقي في أثرهم رؤاميس  
بطعون مثل مشلشات العزالي ... ورخص الطعام البيا غدا له حراريس  
وقال آخر في قصيدة يمدح بها فارس بن عبد الكريم: عيال المَحْمَدُ مِثْلَ فُرُوحِ الدِّيَابَةِ وَالْأَجْوَاهِرِ،  
غاليات بالأمثال

الجرباء قال العزاوي الجرباء نيز وصل إليهم من أمهم، والعرب لا يزالون يتنازرون بأمثال هذه يقال إنه أصابها " مرض جلدي " فتركها أهلها ورحلوا إلى موطن آخر ثم تعافت فلزمها هذا الاسم ومن عادة البدو أن يتكوا المصاب بالجدري وما مائله ويرحلوا عنه حتى يبرأ أو يموت تخلصاً من عدواه ويراقيونه من بعيد ويضعون له ما يحتاج إليه من أكل وشرب. وقبيلة أمهم على ما هو معروف، محفوظة وهي من الفضول من طيء " من بني لام ". وقال وهذه التسمية قديمة ترجع إلى أميرهم الأول محمد الذي يدعون به فيقال " آل محمد " والجرباء هذه أم سالم بن محمد المذكور وهو المَحْفُوظُ أيضاً ولم يقطعوا في صحة تاريخها لقدم العهد. وهؤلاء لم يصح ما كان يشيع عنهم بعض العربان أنهم من الشرفاء، أو من البرامكة فعلقت في أذهان بعضهم، ونقل ذلك ابن خلدون في تاريخه وكذبه فهم من طيء كما قال الحيدري رحمانهم؟ من آل محمد من طيء. ويؤيد هذا ما قاله صاحب " مطالع السعود " عثمان بن سند وقد سمعت بُنِيَّةً ينتسب إلى طيء القبيلة المعروفة..

وقد ذكر صاحب " قلب جزيرة العرب " أن الجرباء من قبيلة سنجارة، وفروعها إلى العامود والجرباء وبين أن من الجرباء آل حريز، والحسنة والبريج. والمُنْقُولُ عنهم أن سنجارة قبيلة زوبعية وترجع إلى الحريث من طيء، والجرباء من طيء رأساً وأماً من بطونهم القديمة. وقال: هم آل محمد كما تقدم، ومحمد رأس عمود نسبهم وأقدم من عرف من أجدادهم ممن لا يزال محفوظاً إلى الآن. ونبدأ في تعريفهم من أحد أجدادهم مقرن بن محسن بن مشعل بن مانع بن سالم بن محمد، والمُحْفُوظُ أنه قد ابتلعت بعض الأسماء نظراً لعدم القطع الذي علمته من كثيرين منهم فلم يتمكنوا من الحفظ التام. مجرن " مقرن " جعيري الزيدان

الحميدي مجرن نجم فارس مطلق عمرو قرينيس سمير شلاش بنية أسعد صفوق محمد مسلط فهد  
فرحان عبد الكريم عبد الرزاق طلال فارس سلطان ملحم مسلط مشمل الحميدي محمد الشيوخ عبد  
المحسن صفوك مطلق فواز عبد الكريم نزار محمد سميط كردي سظام هيكل " مشعل  
وفرحان بن صفوق أولاده كثيرون وهم: 1 - عبد العزيز 4 - شلال وهؤلاء أولاد درة 5 - فيصل  
6 - عبد المحسن 7 - هابس أولاد السرحة 8 - ثويني 9 - العاصي 10 - مجول أولاد جزعة  
11 - جارالله 12 - مطلق ويقال له ابن العيط من زوجته بنت نوير العيط 13 - الحميدي 14 -  
زيد 15 - أحمد ويقال لهم الباشات " أولاد الجرجرية " 16 - ميزر 17 - سلطان وهذا ابن بهيمة  
بنت ابن قشعم ويقال له ابن الجشعمية.

من هؤلاء فيصل والحميدي وأحمد وزيد لا يزالون في قيد الحياة. وإن عبد العزيز ترك عقيل الياور وهو  
" أمير شمر " اليوم وشيخ مشايخهم. وهؤلاء نقول فيهم ما تيسرت لنا معرفته: 1 - محمد: وهو الجد  
الأعلى الذي تسمت به فرقة الرؤساء فيقال لهم آل محمد. ويقال إنهم كانوا سبعة من الأخوة أحدهم  
" الصديد " وهو جد " الصديد " وآخر هو جد البريج من الخرصة. والباقون ماتوا بلا عقب. ومن  
هذا يعلم أن " آل محمد " أو من يمتون إلى جد واحد هم هؤلاء.

2 - سالم: وهذا هو المعنى بقول شاعرهم:

مَنْ دَوَّرَ سَالِمًا وَالشَّرِيفَ ... مَا حَنَا لِلْقَاسِي لِبَانٍ  
حِنًا كَمَا غَشَّ الْعِرَاقَ ... نَلْحَقُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ

ومن هذا البيت يستدل البعض على أنهم من الشرفاء. والظاهر أنه يشير إلى وقعة جرت لسالم مع  
الشريف المعاصر له لا باعتبار جد لهم.

3 - مانع.

4 - مشعل: وهذا يمتون إليه بالنسب الأقرب فيقال لهم آل مشعل ونحوهم الأخيرة نشأت من زمنه  
وهي " حرشة وأنا ابن مشعل " ويقول قائلهم:

مرد على سرد من أولاد مزيد ... جمأة الدار لياجاه البلا من ضديده

اللي جمع وكرين في وكر واحد ... العين توه ما تمنا رقيده

تصافوا الصياد هم وآل مشعل ... وتبشرت النوق بايام عيده

وآل مشعل هم آل محمد، والصياد آل صديد، وهم من آل محمد، أو كما قلت سابقاً من إخوة  
آل محمد رؤساء الصايح على اختلاف في ذلك، ويجمعهم مزيد وهو جد أعلى.

5 - محسن 6 - مجرن 7 - الجعبري 8 - الحميدي: هو والد فارس الجرباء ويعرف ب " الأمسح " لأنه ولد وعينه مسحاء فلم يظهر لها أثر، ويعد من مشاهير شيوخ آل محمد. وقد ترك أولاده ذكراً  
ذائعاً وهم مطلق وفارس ومن يليهم وهم ألصق بنا وحوادثهم قريبة منا ولا تزال ترددها التواريخ أو  
تتناقلها الألسن. ومن أولاد الحميدي " عمرو " ومنه آل عمرو أخي فارس. ولا يزال فرعهم معروفاً.

9 - مطلق: يعرف ب " أخو جوزة " وهذا أراد مهادنة الامام ابن سعود ولكن ابنه مسلطاً لم يرضخ لمطالب الامام من زكاة وقص الشعاف " شعر الرأس " وما مائل، فشوق أباه على القيام في وجه ابن سعود فحاربه، وهذه مبادئ نزوحهم إلى أنحاء العراق ومن بواعث التميل إليه. وقال العزاوي عن مسلط بن مطلق الجرباء: هو ابن مطلق ويلقب بالمشوش أي المغضوب. وهو شجاع مشهور بالبسالة، وتفوق على كثير من القبائل كقبيلة بني خالد وكان رئيسهم ابن حميد آل عريعر وكان قد قال لابن حميد " ولد حمرة حرك " أي أنهم يلتمسون الحسن والجمال دون عراقاة النسب وطيب الأرومة. وكان قد أبرز لهم أمه وكانت بادية الأنياب مهولة المنظر فقال إن أبي الشمس مثل هذه لتلد مثلي. ومما يحكى عنه أن أمه كانت تخشى بطشه فتحذره. من ذلك أنه سأله يوماً أي أشجع هو أو أبوه؟ لم تجبه فلما ألح عليها قالت له: كل منكم شجاع وبعد الإلحاح الزائد ذكرت أن أباه أشجع فضربها ضربة كادت تطير بأمر رأسها وكان قد تحارب أبوه مطلق مع إحدى القبائل فقتل له ولدان فحملهما على بعير ومع هذا لم يبال واتصل بأمه في ذلك اليوم فولدت مسلطاً هذا فصار من تلك العلة وشاعت أخباره وهو مشهور بالكرم أجرى السمن سواقي وصار يأكله الضيوف مع التمر وقد شاهد كرمه الأعداء والأقارب. توفي قبل أبيه كما أشير إلى ذلك فيما مر. ويحكى عنه أنه حينما قوي أمر مسعود وأمر يجز الشعاف وتأدية الزكاة امتنع أن يتكلم مع أحد وصار يراقب على رجم " تل " يبقى فيه طول النهار وقسمًا من الليل فحسبوا أنه عاشق أو مختل العقل فأرسل إليه أبوه أن يأتيه ويطيع أوامر ابن سعود فأبى وضرب عبد ابن سعود فأدمى جبينه وحينئذ غضب الأب وتناول سيفه وتقدم إليه قاصداً قتله فقال مسلط:

نطيت راس مَشْمَخَرَات العَرَاقِب ... رجم طويل نايف مقحلز  
ونبت ونة ما تهجع بها الذيب ... واوجس ضلوعي من ضميري نيز  
اشكي لآخو جَوْزة ستر الرعايب ... الحر عن دار المذلة ينز  
لا صار ماناقي سواة الجلايب ... وقلايع بايماننا نيزي  
وحيئنذ أدرك الأب مرامي ولده فأجابه:  
اصبر تصبر واجمع الخيث للطيب ... وهذي حياة كل ابوها تلز  
أخاف من قوم روسها كالبعابيب ... وسيف على غير المفاصل يجز

(1/49)

وقال العزاوي عن شلاش بن عمرو: وهذا معلوم عنه الكرم. ويقال له " تل اللحم " إشارة إلى ما يقدمه إلى الضيوف. قتل قرب هور عقرقوف، في محل يقال " أبو ثوب " وقبر هناك. وقال العزاوي عن فارس آل محمد: جاء هذا ومطلق وسائر أقاربهم وأهلهم إلى أرياف العراق، فرحبت الحكومة بهم ووقائع شمر في العراق تبتي في الحقيقة من فارس هذا. وفي زمنه استقرت قدم شمر فائقة، وكان النفوذ في بغداد لآل الشاوي وقبيلة العبيد التزمت الحكومة فاعتزت بها. والمحمفوظ عن بعضهم أن إبراهيم بك بن عبد الجليل بك هو الذي جاء بفارس إلى العراق لمصلحة عداء ابن سعود، ولسحق

العشائر وما مائل. الصحيح ما قدمنا وأن إبراهيم بك ينتسب إلى شمر من " الجعفر " الذين منهم آل الرشيد. ويسبب هذا الرئيس أعنى فارساً خضدت شوكة قبيلة العبيد نوعاً بل كادت تمحي لولا أن يتوالى نبوغ رجال مشاهير من آل شاوي يساعدون قبيلتهم العبيد في حين أن هؤلاء البدو لناصر لهم غير قوة ساعدتهم وتمرنهم على الحروب والذكاء الفطري في معرفة الوضع السياسي للحكومة فاستغلوا الحالة عن معرفة وخبرة فنالوا مكانتهم الممتازة لدى ولاية بغداد. وكانت الحكومة ترغب في إمالة قبيلة عظيمة مثل هذه إليها واستخدامها على العبيد والقبائل الأخرى وكانت تخشى بطشهم وترهب سطوتهم، وهي أيضاً في حاجة لمعرفة ما يجري في جزيرة العرب وهذا ما كانت تنويه في بادئ الأمر ثم التفتت إلى الأوضاع الأخرى في حينها، أو أنها نظرت للأميرين معاً وكل آمالها مصروفة إلى محو البعض بالبعض تأميناً لحاكميتها وتأييداً لسلطتها وقهرها للأهلين، ولذا قامت بعد ذلك بوقائع تؤكد نواياها وتبين وضعها وسائر مطالبها وأغراضها نحو الأهلين. وأول ما رآته الحكومة من فارس الجرباء - عدا ما ذكر هو ما حدث سنة 1213هـ 1798م - زمن الوالي سلمان باشا الكبير فإنها أرادت الوقعة بابن سعود فجمعت كل ما استطاعته من قوة عشائرية وعسكرية فكان فارس الجرباء بعشائره وكذا شيخ المنتفق بمن معه من قبائل ومحمد بك الشاوي وجماعات كثيرة جعلهم الوزير تحت قيادة علي باشا الكتخدا إلا أن هذا لم يكن عارفاً بالأمور الحربية ولم يسمع نصائح أكابر رجاله من رؤساء القبائل المتمرنين على حرب أمثال هذه خصوصاً الجرباء. وفي هذه الوقعة لم يسجل التاريخ سوى غارة على قبيلة السبيع فغنم منهم إبلاً وشاءاً وفي هذه الغارة كان فارس وابن أخيه بنية بن قرينيس غنموا ماغنموا وقتلوا من قتلوا من قبيلة السبيع وعادوا ولكن الكتخدا خذل في هذه الحرب وخسرت الحكومة خسائر فادحة لا تقدر ولولا العشائر معه لدمر شر تدمير، فانتهدت بالصلح الظاهر والمغلوبة الحقيقية التامة، وقد أوضحت هذه في موطنها من تاريخ العراق وفي عام 1216هـ - 1801م أغارت سرايا من أهل نجد على العراق فأرسل الكتخدا علي باشا لمقاتلتهم محمد بك الشاوي وفارس الجرباء ومعهما عسكر الوزير فوجدوا القوم قد تحصنوا بالرواحل، وشمروا عن ساق الحرب بالبنادق والمناضل، فاحجم من أرسله الكتخدا ورأوا ذلك أحمد فرجعوا إلى شفائي " عين تمر " كارهين النزال فأنبهم ابن سند في تأريجه بقوله:

رأوا البيض مصلتات فظنوا ... أنها أنور بليل تشبُّ  
فأتوا يهرعون عنها فهلا ... وردوها وبالشياظم خبوا  
أنكوصاً عن أن تراق نفوس ... بسيف على الرؤوس تصب؟

(1/50)

هذا ولم يعلم ابن سند أن المخاطرة بلا أمل نصره شطط وكان الجيش منهوك القوى فصادف على حين غرة أناساً مستريحين وقد عقلوا إبلهم وصاروا ينتظرون الحرب بجدوء وراحة فكف الجيش عن قتالهم وما إلى جانب، للأسباب المذكورة ولأحوال حربية، والظاهر أنهم أرادوا أن يسحبوا عدوهم بحيلة حربية فيعقبوا أثرهم فلم يحصل مطلوبهم ولم يفلحوا فانقضت الوقعة بسلام. ولم يقف فارس الجرباء وقومه عند هذا الحد بل ازداد نفوذهم فأنهم أزاحوا العبيد وغيرهم وتمكنوا في مواطنهم، جاءوا



بين النهرين - الجزيرة - في بادئ الأمر بقصد أن يردوا الموطن وبعد ذلك جاءهم فارس يقوم كثيرين فوقعت بعض الحروب المؤلمة. ومما تناقله الألسن أنه حين ورود فارس الجزيرة دعا رؤساء القبائل المجاورة وقدم لهم منسفاً كبيراً جداً " جفنة " فيه الطعام الكثير وفي أطرافه سكاكين مربوطة بأمراس لقطع اللحوم، فاستعظمو ما رأوا وحسبوا الحساب لما وراءه وكان بين المدعويين رؤساء العبيد والجبور. وإن رئيس قبائل الجبور أبي أن يأكل بحجة أنه صائم لئلا يمنعه المَلح والزاد من أن يوقع بهذا الرئيس أو يغدر به وشاور أصحابه فيما أضمر له في أن يقتلوه فيأمنوا شره قبل أن يتوارد إليه قومه ويعظم أمرهم فلم يوافقهم سائر الرؤساء لأنه نزيل ولأنه لم يأت محارباً فاضطر إلى العدول عن رأيه. ومن ثم تواردت شمر حتى عظم أمرها، واحتلت الجزيرة فدفعت هذه القبائل إلى أنحاء مختلفة، فمالت قبيلة العبيد إلى الحويجة، وأزاحت البيات إلى أماكنهم الحالية. وهكذا جرى على الجبور ففرقوا. وفي هذه كان الإيعاز من الحكومة فأغرقت على هذه القبيلة وقد صور ابن سند مكانة فارس آنذ فقال: كانت لفارس وابن أخيه بنية أيام الوزير علي باشا أبهة عظيمة وصدارة. فتقلص ظل العبيد، وكاد يحى فعبروا إلى الحويجة، ولا يزالون بها إلى الآن. وإن رؤساء القبيلتين يذكرون هذه الوقائع التي ولدتها السياسة واستغلت القدرة من أحد الجانبين للوقية بالآخر، وما ذلك إلا نكاية بآل الشاوي. ولكن الحكومة لم تر من شمر النتائج التي كانت تأملها فرأهم أصعب مراساً ولم يكونوا تابعين لكل أمر. وكانت وقية الوالي علي باشا بمحمد وعبد العزيز آل الشاوي حدثت في أوائل حكمته. كان قد ذهب بنفسه إلى سنجار وبعد أن رحل غضب عليهما فخنقهما سنة 1218هـ - 1803م وحينئذ قدم فارس الجرباء، وابن أخيه بنية المذكورين فمحا بيت الشاوي وناصر رؤساء شمر. ومن هؤلاء فرع لا يزال معروفاً ب " آل فارس ". ومنهم مجول بن محمد الفارس. وقال العزاوي عن بنية: هذا هو ابن قرينيس ويقال له الأشمل أي أنه يزال أعماله وحروبه بيده اليسرى " شماله " ويقال لفرسه " الجنيدية " نوع من الخيل معروفة. وبنية هذا عبر من الجزيرة لغربي الفرات عندما تولى وزارة بغداد سعيد باشا لما بين عمه فارس وآل عبيد من الضغائن ولا سيما أميرهم قاسم بن محمد الشاوي، وقد كان سعيد باشا ولي زمام أموره لقاسم، فلما بين فارس وقاسم المذكور لم يستقر بنية في الجزيرة فنزل بعشيرته خزاعة في سنة 1231هـ - 1816م ليكتال، ومن ثم حدثت المعركة التالية وذلك أن شيخ الرولة من عنزة المعروف بالدريعي أرسل إلى حمود بن ثامر شيخ المنتفق فاستنفره فنفر بفرسان عشيرته لمساعدة الدريعي لما بينهما من الائتلاف، وكذلك خرج عسكر الوزير سعيد باشا وهم عقيل وكبيرهم قاسم الشاوي فقامت الحرب على ساق وقائد شمر بنية وهذا ماكر على جناح أو قال إلا هزمه حتى تحامته الفرسان فقدر الله عليه في بعض كراته أن أصابته رمية بندقية فخر من صهوة فرسه قتيلا. وجاء " في عنوان المجدد في تاريخ نجد ": أنه كان لحقه فارسان فلما أحس بهم أو أنهم دعوه للمبارزة جذب عنان جواده جذبة منكراً ليحرفه عليهم فرفعت الفرس رأسها ويديها وسقطت على ظهرها إلى الأرض وهو فوقها فصار تحت السرج والفرس فوقه فأدرك وقتل وكان عمه فارس معه في هذه الوقعة. وأما أثر قتله هذه فكان كبيراً وله وقع في نفوسهم. ومما قاله ابن عجاج في وقعة المنتفق هذه مقابل انتصارهم الأول على آل الشاوي يخاطب شيخ المنتفق ويذمه على افتخاره في قتله بنية، وكان هارباً من آل محمد ونزيلا عند المنتفق، ينقلون أنه قال:

خذلت شيخ دوم يخذلك ... وعطيت له حبل الشرك ثم كفيت  
تسعين راس من قومك غدت لك ... وش عاد يا خصاي الدجاج سويت  
وعلى كل حال كانت وقائعه مشهورة، ولكن نهضة آل الشاوي للمرة الثانية مما ضعفت من عزمه  
فتألب القوم عليه وحارب حتى قتل بمنصرة من الحكومة والمُنتفق وعنزرة. وإن عمه كان ولا يزال حياً  
ومعه في هذه الوُقعة. وقد مضت مدة حتى استعادوا مكانتهم أيام داود باشا وبهم استعانت الحكومة  
وبغيرهم من العشائر على حرب العجم في أيام الشيخ صفوق بن فارس وهذه المغلُوبية التي أصابت  
بنية لم تؤثر على قبائل شمر وإنما هي حرب مبارزة ولم تكن حرباً حاسمة. وقال العزاوي عن صفوق:  
وهذا أشهر من نار على علم وقد لقبته الحكومة بلقب " سلطان البر " سنة 1249هـ - 1835م،  
خلف بنيه ابن عمه في مكانته ونال حظوة لدى الحكومة أيام داود باشا الوُزير. هذا وتكاثرت  
المُدونات في أيامه أو أن الذي وصلنا أكثر لقرب العهد. ويمتاز بالممارسة على الحروب أكثر ممن  
سبقه، وتدابير في سوق الجيش مهمة. ولا ينكر لأمثال هؤلاء أن ينبغوا في أمر الحروب وقد ذاقوا  
حلؤها ومرها ونالوا منها الأمر واعتادوها. فالفطرة السليمة، وعيشة البادية، والرياسة، والتمرن الزائد  
في أمر الحروب، والذكاء المنفرد، مما يعوض نوعاً عن التجارب الفنية خصوصاً إذا كانت ترافقه  
رباطة جأش، وصبر على المنكارة، وانتباهه قد يحصل ببضع وقائع محفوظة مع الحالة العملية فيعوض  
عن دراسات عديدة، قضايهم لا تحتاج إلى ما يحتاج إليه في الحروب المنظمة. وإذا كان المرء  
مسيبوعاً بحب الحروب ومائلاً إليها بكليةه وبينته مساعدة للقيام بأمرها دائماً، أو مراعاة ما يعوض  
عنها عن مطاردة الصيد أيام السلم، فهناك حدث عن الشجاعة وعن الخطط الحربية، والتدابير  
الصائبة ولا حرج. ولو دونت وقائعهم التي يقصونها، والوسائل التي يتخذونها لتنفيذ خططهم لهل  
الأمر أو لحصل الإذعان في الكفاءة لهم والمقدرة. ومن المؤسف أن تصرف المهتم لأمثال هذه الأمور  
في غزوة بعضهم البعض وكل واحد نراه ماهراً فيما زاوله، والخطر والصعوبة في أن ينال الواحد من  
الأخر حظه. ومترجمنا هذا يعد في طبيعة شجعان العرب وأكابر قوادهم ولو وجد له تربة صالحة وبيئة  
مناسبة لظهر أعظم. وقد قال صاحب " المطالع " في حوادث سنة 1238هـ - 1823م عن وقعة  
العجم التي حدثت سنة 1237هـ - 1822م: أخبرني ثقة عدة أن صفوقاً غزا ابن الشاه وعبر ديبالي  
بفوارس من عشيرته إلى أن كان من عسكر ابن الشاه بمرأى فركب فرسان العسكر لنا رأوه وكروا  
عليه فاستطردهم حتى عبروا ديبالي وبعدها عنها فعطف هو ومن معه من عشيرته ومن الروم عليهم  
فأدبرت فرسان العجم وقفاهم فوارس شمر وقتلوا منهم من أدركوا وأتوا بخيلهم وسلبهم. وأخبرني غير  
واحد أن هذه غير الأولى التي ذكرها المؤرخ التركي. والمُحفوظ في هذه الوُقعة أنها كانت بالاشتراك  
مع قبيلة العزّة، وأنهم أبلوا فيها البلاء العظيم، فتكاتفوا على عدوهم، وعولوا على أنفسهم، ولا  
ناصر لهم من جيش الروم " الترك العثمانيين " وإذا كان معهم من عُقيل بعض أفراد فلا تعطف لهم  
أهمية. وشمر هؤلاء في حروبهم يهارشون المُقابل، ويطمعون في النصرة دون غلبة قطعية، حتى يأتوا إلى  
مجال الطراد وموطن العطفة - كما عبر ابن سند - فيعاودوا الكرة على عدوهم، ولذا يسمون أهل "   
العادة " وهكذا فعل صفوق في ترتيب خطته ونجاحهم وهم أكثر تعوداً لها وأساساً عن صغره يزاوها.  
وتفصيل الوُقعة في " تاريخ العراق بين احتلالين ". وقد مدح ابن سند وقعته هذه مع العجم وموازته  
للوزير وبين أنه كان قائد الجيش ومعه العشائر حتى قال ولما نصر صفوق هذا الوزير أقطعه عانة وما

يتبعها من القرى فنال منزلته عند الوُزير فعادى أعداءه ووالى أوليائه. وأمّا كرم صفوق فما سارت به الأمثال وأقرت به الأمثال. ولسفوق هذا مع قبائل عنزة وقائع أشهرها: 1 - يوم بصالة. وهو يوم انتصر فيه شمر على عنزة سنة 1238هـ - 1823م.

2 - في السنة التالية انتصرت عنزة عليهم وهي عام 1249هـ - 1824م. وفي هذه الوقعة الأخيرة انكسرت شمر فشد الوُزير عضد كبيرهم صفوق.

(1/52)

كذا قال ابن سند، ولا محل للتفصيل هنا. وعلى كل حال إن كسرة شمر هذه المرة لم تكن القاضية وإنما هي على عادة العرب في قولهم " الحرب سجال ". ولذا لم تتركهم الحكومة، وإنما أخذت بيدهم فاستعادوا مكانتهم الأولى فقاموا بمهماتها الحربية مع العشائر المناوأة. وكان للحكومة من العشائر ما هم بمنزلة جيش متأهب للطوارئ وحاضر للكفاح والاستنفار. وحوادث صفوق الأخرى من هذا النوع. ومنها ما يتعلق بالقبائل الشمرية ولكن حادثة سنة 1249هـ - 1831م تدل على أنه بقي على ولاء داود باشا الوُزير وكره حكومة علي رضا باشا فلم يدعن له. وذلك أن والي الموصل يحي باشا كان أيضاً على رأي الشيخ صفوق الفارس وكانت بينهما مراسلات. حث صفوقاً على القيام فناوياً الحكومة وتمكن من قطع الطريق بين بغداد والموصل وصار يتجول بين النهرين فجمع قوة كبرى وحاء إلى قرب الإمام موسى الكاظم فحارب علي رضا باشا الوالي وجيش الحكومة وأمله كبير في أن ينكل بالقوة التي أمامه ويستولي على بغداد فكان لهذا الحادث وقع عظيم في نفس الحكومة، وفي نتيجة هذه الحرب اضطر الشيخ صفوق على الانسحاب وترك الأثقال. ولما اطلعت الحكومة على نوايا والي الموصل عزلته وعينت مكانه سعيد باشا الوالي السابق وكان في بغداد. إن الحكومة بعد وقعة صفوق هذه مع علي رضا باشا اللازم قد احتالت فقبضت عليه وأبعدته إلى الأستانة ومعه ابنه فرحان باشا وكان صغيراً تعلم التركية خلال بقاء والده هناك، وكانت المدة التي قضاها ثلاث سنوات. ومن غريب ما يحكى عنه أنه جاء إلى السلطان يتوسط الشريف عبد المطلب فدخل عليه وعندئذ صار ينظر يميناً وشمالاً. وهذا ما دعا أن يغضب عليه السلطان مرة أخرى ويطرده من عنده ولم يدر السبب في حين أنه كان يأمل أن يكرمه. ذلك لما رآه السلطان منه من سوء الأدب، هكذا كان يظن السلطان فيه ولم يدر أنه بدوي، وأمثاله لا يعرفون مراسم التشريفات، والحكومة أساساً لا تعرف تقاليد العرب وعاداتهم فلا يستغرب من السلطان أن يعتقد فيه ما اعتقد وهو بعيد عن البداوة، ولم يتعود التجول ولا السياحات الوطنية على الأقل، ولا بيده من كتب العشائر ما يبصره بأوضاعهم. وقد رأينا من المغفور له الملك فيصل صبراً عظيماً من جفاء العشائر وخشونتها وهو يسمع جميع هوساتها ويتلقاها بكل سعة صدر وارتياح، لأنه عارف بهم وبضروب طباعهم وأحوالهم. ثم إنه توسط له الشريف مرة ثانية في الدخول فوافق السلطان، ولكنه حينما جاء إلى الصدر الأعظم صار يوصيه بمراعاة المراسم اللائقة وأن لا يرفع بصره لا يلتفت إلى جهاته، فقال: لا أدخل، ولا فائدة لي من ذلك الدخول وحينئذ أرجح البقاء لأني سوف أذهب إلى قبائلي وأحدثهم أي رأيت السلطان وشاهدت بلاطه وما فيه من كذا وكذا، ولو قلت لهم: إني خرجت كما دخلت فلم أنظر

شياً فحينئذ لا يصدقوني بل يكذبوني وقالوا: لا نصدق أنك دخلت. فأوصل خبر ذلك إلى السلطان فاستأنس بما قصه، وسمح له أن دخل وأذن السلطان له بمشاهدته وأن يتفرج على الأماكن الأخرى والنظارات " الوزارات " وكل المباني البديعة والقصور الفخمة والآثار. عفا عنه السلطان، واختبر هو الوضع من جهة، ومن أخرى أن قبيلته معتادة الغزو والنهب ولا يمكن تعيين أي السبيين قد دعا لقيامه على الحكومة مرة أخرى زمن الوالي نجيب باشا ويقال في هذه المرة لم تعلن الحكومة مطاردته وإنما اتخذت طريق المسالمة والحيلة للقبض عليه وأرسلت إليه رؤساء القبائل المشهورين لتقريبه من الصلح والانقياد والطاعة. فجاؤا به كمطيع، مسالماً لها ومنقاد، فألما وصل إلى هور عقرقوف وقارب بغداد سل محمد بك سيفه عليه وضربه فقتله غدرًا وعلى غفلة منه. وكان الشيخ صفوق قد قضى أكثر أيامه بالحروب فهو متمرن عليها، لا يستريح بدونها، وقصصه أشبه بقصص الأبطال القدماء وحروبهم، ومجالس شمر لا تخلو في وقت من ذكريات بسالته، والتغني بمآثره ومناقب شجاعته. واليوم بيت الرياسة العامة على شمر في " آل صفوق ". قيل كان قتل صفوق على يد الأتراك بالوجه المذكور سنة 1840 - 1841م كما جاء في كتاب " عشائر سورية " وفيه نظر، لأن وقائعه مع علي رضا باشا بعد هذا التاريخ كما رأيت. ومن أولاده: فرحان، وعبد الكريم، وعبد

(1/53)

الرزاق وفارس " والد مشعل باشا " ومن رثاه ردهان بن عنقا قال: اق وفارس " والد مشعل باشا " ومن رثاه ردهان بن عنقا قال:

ونيت وأنا من غفيله ... ونة عجوز وقفت بالمئتريس  
لقت ولدها غادي مع حليله ... وعقب الطرب بدلت بالهداريس  
واويل قيل صفوق واطول ويله ... ويل يموس بسرة الكيد قمويس  
من غبت عنا يا ابن اخي سبيله ... غاب السعد عن نزلنا والنواميس  
ونجفل جفيل الصيد وترتع رتيهه ... وصرنا مثل فرج الموعز بلا تيس  
قال العزاوي عن فرحان: هذا ابن صفوق، وكانت وجاهته عند الحكومة رفيعة، ولم يقع له من الحوادث ما يعكر صفو الأمن ولا عرفت منه معارضة للحكومة، وإن الحكومة العثمانية أنعمت عليه برتبة باشا وكان قد ذهب مع أبيه صفوق مبعداً إلى الأستانة كما ذكر والمعروف عند البدو أنه صاحب بخت " حظ "، ويدعو البدو دائماً ببخته فيقال " يا بخت فرحان ". وكانت مشيخته وعلاقته ببغداد، وله راتب منها وهو في خدمتها للأمور المدهمة. ونعم إنه سالم الحكومة، ولذا راعت جانبه ورضيت عنه وكان يساعد الحكومة إذا كان قريباً منها أو أخوه عبد الكريم إذا كان الحادث قريباً من أرفة. وقد ترك فرحان باشا أولاداً كثيرين وقد بيناهم عند ذكر سلسلة بيتهم. قال العزاوي عن عبد الكريم: وهذا ابن الشيخ صفوق اشتهر اسمه ونال مكانة معروفة وكانت مشيخته في أرفة وله راتب، وهو أخو فرحان باشا ويعرف " بالشيخ " فالقبيلة تعرف هذا شيخها فسمى أولاده " بالشيخ " وقد شنق سنة 1868م بعد أن أحاق بالموصل خطراً، وقد اتخذت الحكومة التدابير للوقية به بعين ما قامت به في حادث صفوق أو قريب منه. وهذا ترك محمداً، وعبد المحسن، وشفوقاً وهؤلاء أولاد.

ومما قيل في عبد الكريم:  
عبد الكريم الياركب يعبوبة ... لاكن رجله عند الاففا عايبة  
جده من أمه من موارث حاتم ... وابوه شيال الحمول النوايبة  
حامي الرمك معطي الرمك ... له هدة تكثر بما الجنايبة  
لُو يقضب الياقوت ما عبا به ... تلقى الندى بين الحجاجين رايبة  
يقول: كأن عبد الكريم قد عيبت رجله حينما نراه راكباً جواده. ومما قاله فحجان الفراوي من مطير  
في عبد الكريم:

نبي ناخذ على الهجن سجة ... من بين أو بندر وبين الامام  
ونبي ناخذ على الهجن هجة ... لديار سمحين التوجيه الكرام  
ترى الكرم ما به عجة ولجة ... ولا أحد يغالطهم جنوب وشام  
مقابل الجربان فرض وحجة ... هل السيوف اللي تقص العظام

(1/54)

وإن ولده فارسا عاش أيضاً مسالماً للحكومة ومراع جانبها وهو شيخ شر في أنحاء سورية، صاحب  
مقام رفيع هناك، وممن جمع صفات الرجولة والدهاء وحفظ الوقائع الماضية وعلاقة القبائل الأخرى  
بهم ولكنه دائماً يود أن يظهر علو قبيلته على سائر القبائل. وقال العزاوي عن فارس بن صفوق: هو  
ابن صفوق ووالد مشعل باشا، كان قد جاء عالي بك والي طربزون السابق ومدير الديون العمومية  
بسياحة رسمية إلى بغداد دونها في كتابه المسمى " سياحت زورنالي " المحرر باللغة التركية والمطبوع  
عام 1314هـ - 1897م كان قد كتبه كرحلة عن سنة 1300هـ - 1883م إلى سنة 1304هـ  
- 1887م مبيناً ما رآه في طريقه من الأستانة إلى بغداد فالهند قال: " قد ذهبت لواجهة الشيخ  
فارس الجرباء - بعد مروره في ماردين - فاستقبلنا ابنه محمد " ومحمد هذا ليس ابنه وإنما هو ابن  
أخيه عبد الكريم " وأدخلنا خيمته، وهي من شعر وطولها من 60 إلى 70 ذراعاً وعرضها من 25 إلى  
30 ولها عمد كثيرة وهي جسيمة جداً. وقد وصف بيوتهم وطعامهم وقهوتهم ومجلسهم ولكنه لم  
يتحدث القوم في مطالب لينبه عليها إلا أنه قال: وفي مجلس الشيخ فارس نحو 60 من الرؤساء.  
وقال: لم يكن عند العرب هناك ما يدعو للتكريم والمراسم للقيام والقعود، فلانشأها قياماً لديهم،  
والظاهر أن السياح الموما إليه لم يعلم أن الجالس معه لا يوجد أكبر منه ليقوم له. وطبعاً تستولي  
الحشمة على مجلسه خصوصاً أنهم رأوا غريباً عند شيخهم أو بالتعبير الصحيح أميرهم. وقال: كان  
بعضهم يتعاطى شرب النارجلية، والأصوات بينهم تعلق ويتكلمون جميعهم معاً فيكثر اللغط في  
معاشرتهم " لم يعرف الحرية عند البدو ولا قدر سلطة الرؤساء وإنما محدودة إلا بحق " ثم تغدى ووصف  
المنسف المقدم له وأن الشيخ كان يدعو جماعات بعد أخرى للأكل إلى أن بقي منه القليل فدعا  
الصبيان وهؤلاء دخلوا نفس المنسف وأكلوا فيه لأن أيديهم لا تصله نظراً لعظمه، ولما رأى  
المنسف وعظمه وأنه مملوء أرزاً ولحماً أخذته الحيرة وصار ينظر في وجه صاحبه كأنه يشير إلى  
عظمته. وقال: أن الشيخ فارساً كناقد ألحنا عليه فأبى أن يأكل معنا وقال هكذا اعتدنا حتى إنه مما

دعا لخيرتهم أنه بقى واقفاً طول جلوسهم للأكل وبقى في خدمتهم بنفسه شأن العرب مع الضيف العزيز. ولكن لما رأى الإصرار الواقع منه دعا من يأكل معه من الحاضرين نحو " 7 أو 8 " قال أكلوا معنا بالخمس!. ثم يقول: وبعد أن ودعنا ومضينا راجعين من عند لمساة جاءنا ابنه " ابن أخيه محمد وقدم لنا حصاناً، وكنا قدمنا له بندقية، ولما كنا أكرماناه البندقية قبلنا هديته هذه بشكر. اه ملخصاً. وهذا هو والد الشيخ مشعل باشا. ومن قول هذا السياح التركي وما رآه من إلحاح الشيخ فارس وتقديم الطعام له وإكرامه بفرس عربي، ووصف مقامه تعرف مكانه سائر شيوخ شمر. وللشيخ فارس هذا - عدا مشعل باشا - من الأولاد ملحم، مسلط والحميدي.

وقال العزاوي عن فيصل بن فرحان: قد شاهدته مراراً ولا يزال قوياً بالرغم من أنه طاعن في السن، وهذا لم أتمكن أن أعرف منه أكثر من حوادث الغزو، فإذا تجاوزت لك يقول لي أسأل عقيلاً " الشيخ عقيل الياور ابن أخيه " وكانت حكاياته عن الغزو لاذة ومنعشة. وكان يقول شيخ الربيعين في العراق مبرد بن سوكي عم فيصل: إنه فوق ما يحدث. وأغرب ما سمعته منه قصة الخنزير الذي أراد أن يقتل أخاه عبد العزيز والد الشيخ عقيل، وكانا صغيرين فذهب لمعاونته وتخليصه ولكنه وقع معه في مازق فلم يستطع الخلاص منه ولم يجرأ أخوه أن يساعده، وذلك أنه قبض على ذنبه من جانب فلم يستطع أن يفلته خوفاً منه وصار يدور معه فلم يقدر على النجاة، ثم تمكن عبد العزيز من هذا الخنزير فضربه بطلقة بشتاوة " يقال لها عندنا فرد وهي من نوع بندقية البارود إلا أنه صغير كالمسدس ولا يحوي إلا طلقة واحدة في الأغلب ويوضع في حزام المرء أو في بيت خاص كبيت المسدس بلا فرق " أما غزواته وأخباره في حروبه فهذه كثيرة جداً، وأهم ما فيها ما ناله منها عناء وجروح وأسر أو هزيمة. ولسان حاله ينشد:

فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ آيَا ... وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفَرُ

(1/55)

ولا يسع المقام الإطالة في هذه، وإلا فإنها تشكل سمراً، وكل حكايات شجعان البدو من هذا القبيل ولا تخلو من غرابة ودقة. وللشيخ المشار إليه أولاد، ملوهم الذكاء والشجاعة والروح العالية منهم مشعان. وقال العزاوي عن الحميدي: وهذا ابن فرحان باشا. كان قد درس في مدرسة العشائر في الأستانة، وهو اليوم يتجاوز الخمسين من عمر، مشهور بالصلاح، سلفي العقيدة، ملازم قراءة القرآن الكريم، وصحيح البخاري وكتب الحديث المعتبرة، فهو من الأخيار الطيبين. وفي سنة 1353هـ - 1935م صار نائباً، وقد شاهدت له ابناً صغيراً وقد حادثته وسألته عن الأمسح فكان يفسره فاستأنست لشرحه، وفيه روح بدوية، ويؤمل فيه كل خير. والحميدي ينهزم من ذكر عنعنات القبائل، وتقاليدهم لا اعتقاده أنها مخالفة للشرع الشريف، ولا يجب الفخر بالأجداد وكلما حاولت استطلاع رأيه في بعض الأمور كان جوابه مختصراً ويقدر الحاجة. وقال العزاوي عن العاصي: من مشاهير أولاد فرحان والمحمفوظ عنه ما قاله في ابنه الهادي والد دهام المعروف اليوم:

ياصقرة ربيتها من عكب أخو شاهة فساد ... أبوه الحميدي والدويش واعضيب خال أمه وكاد

وقال العزاوي عن عقيل: هو اليوم شيخ مشايخ شمر في العراق، وابن عبد العزيز ابن فرحان باشا، وأكثر معلوماتي عن قبائل شمر اقتبسها منه رأساً بالواسطة ومن مرد بن سوقي وبعض شيوخ شمر المشاهير ممن يعتمد عليهم. شاهدته امراً منطقياً، عاقلاً، كاملاً، حسن المعاشرة من كل وجه، وقد اتصلت به كثيراً، فلم أعثر على ما يمل منه وإنما هناك لب الجانب، ودماثة الأخلاق، وحسن المنطق، وقوة البيان، وصدق اللهجة، وأن القلم ليعجز أن يذكر كافة مزاياه، ومجمل ما يعني أن أقوله أنه جامع لصفات العرب النبيلة. ولا أنسى محادثاته عن القبائل وعن عرفها وتوجيهه لبعض الوقائع والأحكام البدوية مما لم أجده عند غيره، ولا يعثر عليه لدى أكثر العوارف الذين شاهدتهم. ولم نعثر على وقائع مهمة عن أولاده الآخرين سوى أن عبد الرزاق وقعت له معركة مع الأتراك وأما فرحان وفارس فقد كانت علاقتهما مع الحكومة العثمانية حسنة جداً، وحصلتا على رتبة "باشا"، وتمكنا مما ناله أجدادهما من السلطة والنفوذ على قبائلهم فغطت شهرتهما على الباقيين من سائر رؤساء شمر، فلا نطيل القول بذكر تفرعاتهم. وقال العزاوي: كانت قبائل شمر تتجول في جزيرة العرب وما بين النهرين بلا معارض ولا منازع سوى ما يحدث من جراء اختلاف القبائل بعضها مع بعض أو مع الحكومة أحياناً. وبعد احتلال العراق من الجيش البريطاني سنة 1917م وسورية من الجيش الفرنسي استقل كل فريق من شمر في جهته وعهدت الرئاسة إلى عراقي في المملكة العراقية وإلى سوري في المملكة السورية. وهذه الرئاسة لم يكن هذا سببها الوحيد وهناك رئاسة من كل من آل محمد علي ناحية أو قبيلة أو عدة قبائل، فالسلطة منقسمة بتكاثر آل محمد وتعدددهم وفي زمن الحكومة العثمانية يعرف واحد منهم، وإذا كان غير صالح لإدارة القبائل فالعشائر تميل إلى من تهاوه من آل محمد ويبقى الرئيس واسطة التفاهم. أما اليوم فكل واحد عرف رئيساً في جهته. إن رئاسة شمر في العراق قررت إلى الشيخ عقيل الياور. فهو اليوم شيخ مشايخهم لا يزاخه فيها مزاحم، وقد خلف دهاماً آل الهادي الذي ذهب إلى سورية، والآن هو في الحدود ويقود "شمر الحدود" كما سمتهم السلطة الفرنسية. وإن مشعل باشا صار شيخاً على شمر الزور "كذا سمتهم حكومة سورية" وهم شمر الذين يسكنون دير الزور. وهناك شمر آخرون يقودهم مثقل العجمي "كذا في عشائر سورية" وتسميهم الحكومة الفرنسية "شمر ديمير قبو". وهنا يلاحظ أن الرقابة موجودة بين عقيل الياور وبين دهام الهادي ابن عمه ولكن لم يقع بين هذين الرئيسين ما كانت تتوقعه السلطات الفرنسية من جراء العداء أو تنبأ به من حدوث ما يثير كامن الحقد والضغينة وأهم سوف ييقون أعداء طول حياتهم استنتاجاً من حوادث الصلح الظاهرية التي وقعت خلال عام 1926م في عانة وعام 1929 في حسيجة. ولا يعدو هذا عن أمور حدسية يظن تحققها أو أن تتوتر شقة الخلاف بين أقسام قبيلة قوية يخشى بطشها وسلطانها فيما إذا اتفقت وتوحدت كملتتها نظراً لخصومة آنية وقعت بين قريبين لا تؤدي إلى أكثر من تكون عداءً شخصياً فلا يدع مجالاً لأن تتقابل شمر بعضها مع بعض. وعلى كل - كما قلنا سابقاً ونقول - إن اختيار الرئاسة في البدو إنما يكون لمواهب يرونها من أفراد بيت الرئاسة.

وقال العزاوي: إن الذين عددناهم كانت تنتقل إليهم الإمارة. وهناك من آل محمد غير هؤلاء وهم:

1 - آل عمرو: هؤلاء في سورية وقد أُشير إلى القول عنهم. وثلة منهم عند الأتراك. قال البسام في

عشائر العراق بعد أن ذكر شمر بالوجه المَنقول عنه في صحيفة 128 وشيخ هؤلاء المشهورين سلماً وحرماً، يقال له عمر الجرباء. وقد سهوت عن ذكره فجاء تمام العبارة هنا كاملة فاقتضى التنبية والظاهر من نطقهم عمراً بفتح العين إنه عمرو ولا عمر.

2 - آل زيدان: منهم في سورية وفي العراق مع الخرصة ورئيسهم أسعد بن سميري بن نجم بن مجزن بن زيدان. ويقال لهؤلاء الزيادين أيضاً، ومن رؤسائهم المذكور وهو القائل القصيدة التي مطلعها:  
عبوب غطى مهرتي في جلاله ... واحلب لها در من اذواد مغاتير  
ومنها:  
يا صفوق آنيك بالؤيلات رمل الهلالي ... رخم الجموع مغتيرين المداوير

(1/57)

يا صفوق عدنا للسيافه رجال ... خيل وتلّي خيل كله مشاهير

3 - آل فهدي. منهم في سورية وفي العراق.

4 - آل مشحن. وهؤلاء مع الخرصة 5 - آل صديد. وهم رؤساء قبائل الصائح. ويجتمعون مع شمر الجرباء " بياس " ولم يعرف طريق اتصاله اليوم.

6 - آل فارس. وهم متفرعون من ابن فارس وهو محمد الفارس فسموا باسم جدهم خاصة دون سائر أولاده وهم في العراق.

7 - آل صفوق. مر البحث عنهم.

ومن الجرباء الوطيفي مشهور والان لم يبق من نسله سوى النساء. والحشاش يسكن مع الخرصة وكذا ابن مشحن، وابن ضمن وابن صلال. والعتوية. ويعرفون بآل عبد الرحمن. ويعد من الجرباء العمود ومنهم في نجد وفي العراق. والصبحي في الحويجة. والخرصة في الجزيرة. والظاهر أن اتصالهم بعيد إلا أنهم يقطعون به. والبدوي أينما حل وحيثما سكن لا يضيع أصله.

6 - نصوص من مجلة لغة العرب.  
شمر الجزيرة:

(1/58)

عن شمر الجزيرة: عن شمر الجزيرة قال الشمساس فرنسيس جبران في رحيله له بعنوان: تطواف في جوار بغداد والمُدائن: وجميع الزوايا الواقعة على الجانب الشرقي من دجلة من " باوى " إلى ما وراء " كوت الإمارة " تسكنها شمر طوفة وترعرعها. وبيوت هؤلاء العشائر في الشتاء خيم منسوجة من شعر المُر وهي مظلمة وكل مظلة منها مؤلفة من ثلاث أو أربع أو خمس شقاق " شكاك " حسب التمكن وعرض كل شقة ذراع وثلث أو نصف الذراع قل: متر وطولها نحو من نيف وعشرين إلى ثلاثين ذراعاً فيضمون حاشية الشقة الواحدة إلى حاشية الأخرى ويخيطها الرجال وخيمهم في الصيف من شقاق



شوب العوين أو اللّوياء. ومعنى الشوب أنهم يأخذون قضبان العوين وسوقها بعد اصفرار ورقها وينقعونها، في الماء مدة سبعة أو ثمانية أيام ثم يرفعونها منه ويخيطونها بالعصي والهاوي ويدقونها بالأخشاب والحجارة دقاً بليغاً إلى أن تصير كالقطن وهذا المدقوق يسمى عندهم بالشوب، ثم تشرع النساء يغلزنه وينسجنه شقافاً، ثم يخيطها الرجال خيمة فيرفعونها بالأعمدة سقفاً للبيت. روى بعض شيوخ شمر طوقة الثقات الإثبات، وأنا جالس بحضرتهم قال: قبل خمسة أو ستة أظهر أي أجيال كنا في الجانب الغربي من دجلة مع شمر الجرباء البدو، تجمعنا جامعة واحدة وسلبتنا لا تقطع من الموصل والشرقاط إلى سوق الشيخ والقرنة ولأمور عرضت لأجدادنا تظاهروا - أي تدابروا - فعبّر أجدادنا من عبر دجلة الغربي إلى عبره الشرقي فتخلفت في المعبر الغربي كلبه لنا من كلابنا وكان اسمها طوقة فأخذت امرأة منا تشيلها قائلة طوقة! طوقة! طوقة! فسمى البدو شمر الجرباء أجدادنا بشمر طوقة، إهانة واستخفافاً بهم وسار هذا الاسم علينا إلى يومنا هذا فأصبحنا قبيلتين أو فصيلتين ولنا عشائر عديدة وقد تعقبه قاسم الدجيلي بقوله: ثم عدّ من شمر طوقة " الغريبر.. الزقاريط.. الأقرع.. السعيد... الزوبع " والأصح زوبع " السعود ". أما الغريبر فقد قال عنهم الحيدري ما نصه: الغريبر من حمير ومن قبائلهم آل شهوان وآل بكر. وأما الزقاريط فهم من عبدة، من ولد رجل اسمه " زفروط " بفتح الزاء وإخوته العفاريت والجعفر وغيرهم، وقد ذكرهم القزويني في رسالته قال: " الزقاريط قبيلة من العرب في العراق تنسب إلى شمر ذي الجناح من هبيعة الحميري أبي قبيلة شمر ". وقال: ينكر اليوم شمر الغريبون على شمر طوقة أنهم منهم كما ذكره الحيدري في كتابه " عنوان المنجد ". وشمر الغريبون من عدة قبائل قال الحيدري المذكور: ومن أجلها " يعني شمر العراق " شمر وهم عدة قبائل منها الخرصة والعمود والصائح - وهم قرابة مع العبيد - والنجم وأسلم وهم من الصائح والعلبان " بتشديد اللام " والبرمج والفداغة وعبدة والغفيلة والعفاريت والزقاريط والزميل، وآل جعفر قوم ابن رشيد شيخ جبل شمر، وحمائلهم آل محمد من طيء. وقد نبغ في أوائل القرن الثالث عشر من شمر طوقة فارس اشتهر بالفروسية والشجاعة كل الشهرة، وطار صيته في الآفاق اسمه " بنية " بإسكان الباء وفتح النون وتشديد الياء المفتوحة وفي الآخر هاء - بن قرينيس الجرباء وقد قتل سنة 1231هـ -

1816م في حرب قامت بينه وبين عقيل والعبيد وخرافة وعنزة والرولة وحمود بن ثامر من المنتفق وقعت في غربي الفرات وأتى برأسه إلى سعيد باشا بن الوزير سليمان باشا الكبير ودفن في النجف وبني على قبره قبة من القاشاني الأصفر والأبيض والأسود لها بهو كبير بني بالجص والطاباق والقبة في طرف الشمال الغربي من مقبرة النجف. ثم قال الدجيلي مستدركاً على مقالته: كنا قد كتبنا أسطراً في شأن بنية ابن قرينيس أو قرينيس أو قرينيس الجرباء وقلنا أنه من شمر طوقة وكان اعتقادنا كذلك وفي الشهر الماضي ذهبنا إلى زيارة حضرة السيد محمود أفندي النقيب في بغداد فصادفنا الشيخ مجول بن فرحان الجرباء أحد شيوخ شمر الغربيين، والحاج عباس العلي كبير أهل الكوت، ولما استقر بنا الجلوس أخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث كما هي عادة الزائر والمُزور وبعد هنيهة قال السيد محمود أفندي: إنكم ذكرتم أن بنية من شمر طوقة والصحيح أنه من شمر الغربيين. ثم التفت إلى الشيخ مجول المُتقدم ذكره وقال: أليس ما أقوله صحيح؟ فقال الشيخ مجول: بلى، وهو من المُحمد ابن أخي فارس الجرباء والد جدي صفوق. وليس اسم أبي بنية جرينيس بل

اسمه فُربنص. فقلنا: إذا كان الأمر كذلك فما المناسبة لدفنه في النجف وتشيد هذا البناء على قبره، وهو مخالف لمعتقد شمر الغربيين سيما وهم من أهل السنة والجماعة؟ فقال: إن قتل بنية كان في أرض الخزاعل وهم الذين دفنوه في النجف. فقلنا: إذا فرضنا جدلاً أنهم دفنوه في العري فمن الذي أنفق على هذا البناء الفخم والقبة المغطاة بالقاشاني المبالغ الطائلة؟ فلم يأت بدليل مقنع ثم قلنا: أما دليلنا نحن أنه من شمر طووقه فلأن شمر طووقه هم على مذهب الشيعة، وهم يدفنون موتاهم في النجف وكربلاء فلا شك أنه كان منهم وهم الذين شيّدوا على قبره هذا البناء. ثم انتبه الحاج عباس العلي السالف الذكر لقولي: " دفنه في النجف وتشيد البناء على قبره ". وقال: صف لي قبره فوصفته له فقال: هذا الذي تعنيه هو قبر بنية رئيس عشيرة بني لام، وليس قبر بُنيّة الذي جرى الكلام عليه، وقد توفي رئيس عشيرة بني لام المذكور في حدود سنة 1313هـ - 1895م والمشيّد على قبره هذا البناء هو ابنه غضبان الرئيس الحالي لعشيرة بني لام. وقد راجعنا بعض المجاميع فوجدنا الأمر كما ذكره القوم. ثم بعد أسبوع صادفنا الشيخ محول السالف الذكر وقال لنا: إن قبر بنية الجرباء اليوم واقع في الجنوب الشرقي من " أم البعور والحמידية " من أرض الشامية على بعد 4 أ، 5 ساعات. فنحن نشكر حضرات الجميع على إفادتهم إيانا، وتنبههم على أغلاطنا سيما نشكر لحضرة السيد محمود أفندي النقيب، لأنه هو السبب في ذلك، ويا حبذا لو حصل لنا من يدلنا على خطانا ويرشدنا إلى الصواب إذ الإنسان موضع الخطاء والنسيان والكمال لله وحده. ربنص. فقلنا: إذا كان الأمر كذلك فما المناسبة لدفنه في النجف وتشيد هذا البناء على قبره، وهو مخالف لمعتقد شمر الغربيين سيما وهم من أهل السنة والجماعة؟ فقال: إن قتل بنية كان في أرض الخزاعل وهم الذين دفنوه في النجف. فقلنا: إذا فرضنا جدلاً أنهم دفنوه في العري فمن الذي أنفق على هذا البناء الفخم والقبة المغطاة بالقاشاني المبالغ الطائلة؟ فلم يأت بدليل مقنع ثم قلنا: أما دليلنا نحن أنه من شمر طووقه فلأن شمر طووقه هم على مذهب الشيعة، وهم يدفنون موتاهم في النجف وكربلاء فلا شك أنه كان منهم وهم الذين شيّدوا على قبره هذا البناء. ثم انتبه الحاج عباس العلي السالف الذكر لقولي: " دفنه في النجف وتشيد البناء على قبره ". وقال: صف لي قبره فوصفته له فقال: هذا الذي تعنيه هو قبر بنية رئيس عشيرة بني لام، وليس قبر بُنيّة الذي جرى الكلام عليه، وقد توفي رئيس عشيرة بني لام المذكور في حدود سنة 1313هـ - 1895م والمشيّد على قبره هذا البناء هو ابنه غضبان الرئيس الحالي لعشيرة بني لام. وقد راجعنا بعض المجاميع فوجدنا الأمر كما ذكره القوم. ثم بعد أسبوع صادفنا الشيخ محول السالف الذكر وقال لنا: إن قبر بنية الجرباء اليوم واقع في الجنوب الشرقي من " أم البعور والحמידية " من أرض الشامية على بعد 4 أ، 5 ساعات. فنحن نشكر حضرات الجميع على إفادتهم إيانا، وتنبههم على أغلاطنا سيما نشكر لحضرة السيد محمود أفندي النقيب، لأنه هو السبب في ذلك، ويا حبذا لو حصل لنا من يدلنا على خطانا ويرشدنا إلى الصواب إذ الإنسان موضع الخطاء والنسيان والكمال لله وحده.

عن أحداث شعبان سنة 1330هـ قالت مجلة العرب: أغار ابن مهيد، رئيس الفدعان، على شمر، النازلين بأحاء الموصّل، فغنم منهم 300 بغير كلها لفيصل بن فرحان باشا وقفل إلى دياره سالمًا. وقالت عن هذا التاريخ: استنزل ابن مهيد قائد عشائر الفدعان وعنزة عشائر شمر بالجزيرة، وزحف بعشائره وعبر نهر الفرات واجتاز عانة وراوة متوجهاً إلى شمر في أنحاء الموصّل. وجاء في مجلة " لغة العرب " في أحداث آخر سنة 1329هـ عن حميدي بن فرحان: عين ولاية بغداد حميدي بك بن فرحان الجرباء شيخاً لعشيرة شمر بدلاً من أخيه مجول، الذي تين عجزه عن حفظ الأمن في دياره. ولما طرق سمع مجول ذلك أمر بعض العشائر من أتباعه وتعرف " بالمثلثة " ومعنى المثلثة عندهم أخلاط من الناس من عشائر متفرقة " بأن يبنهوا ويسلبوا كل من عارضهم في طريقهم وقد حصل بعض ذلك سيما في طريق بغداد وسامراء. فعسى أن يحقق الشيخ الجديد صدق الأمانى ويمنع رسم المرور بدياره وهو الرسم المعروف " بالخواوة "، ويترك الغزو ويحافظ على تأمين الطرق ويشوق عشائره إلى الفلاحة والزراعة ونزع الأسلحة والإقبال على أسباب الرقي والحضارة والتمدن وفي أحداث 1928م قالت مجلة لغة العرب: تنوي حكومة الشام أن تجعل رئاسة عشائر شمر بالانتخاب لتعلم مقياس اعتماد تلك العشائر على أي الشيخين يكون: والشيخان هما دهام الهادي ومشعل الفارس وفي أحداث سنة 1930م قالت: قدم حاضرتنا حضرة الشيخ مشعل الفارس رئيس قبائل شمر في سورية وقد لجأ إلى العراق قبل شهرين وهو يراجع حكومتنا لتوطن قبائله العراق وفي أحداث 1927م قالت مجلة " لغة العرب ": يروى أن الشيخ دهام الهادي والشيخ مشعل الفارس انتهيا من جباية الودي " ضريبة الأباغر " من عشائر شمر المحتلة ديار سورية فاستوفى الشيخ دهام ودي عشيرة " الخرصنة " وحبى الشيخ مشعل الفارس ودي " الثابت " و " الفداغة " من عشيرة " سنجارة " مع ودي عشيرة " العمود " وعن شهر رمضان عام 1330هـ قالت " لغة العرب ": وقع قبل ما يزيد على سنة منافرة بين الشيخ عداي الجربان وبين رشيد الدبوني، وذلك لأن الحكومة أعطت الشيخ عداي أراضي الغبيشية من ملحقات البغيلة والجزيرة ليزرعها، فحاول رشيد أن ينزعها من يده فلم يفلح وقتل رشيد، ثم أرجع ناظم باشا عداي إلى أراضيه وأسكنه فيها، لكن العدالة حكمت على عداي وعشيرته حكماً غيابياً فهم الآن يسترحمون الحومة لتعفو عنهم الحكومة لتعفو عنهم وقالت عن أحداث آخر سنة 1330هـ: زحفت عشائر شمر بجيئها وجالها من الموصّل إلى العراق تحت رئاسة الشيخ حميدي بك ونزلوا عين الأرنب على مسافة يومين من غربي بغداد. ويقدر عددهم بألفي فارس مدجج بالسلح الكامل. وهم يتربون أمر الأمير ابن الرشيد لينضموا إليه ويعملوا بشوره " عن الرياض ": والأصح أنهم جاؤوا للامتياز. وعن شهر محرم سنة 1331هـ قالت: اجتازت عشيرة شمر بغداد وما بين الرافدين، بقيادة رئيسهم الأكبر حميدي بك بن فرحان باشا، متوجهين إلى قضاء الجزيرة فكوت الإمارة ومنها إلى لواء المنتفق، لحضب مرعا ورخص المعيشة فيه، ومعهم القصيظ أيضاً رئيس الفرقة الثانية.